كيف عرفت الله [1]

بقلم:
المرجع الديني الراحل
السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره

عدد الصفحات ٢٤٣
سنة الطبع ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الهجمة الفكرية الوافدة على المسلمين وضعت أولى أهدافها في حرف الشباب المسلم وتمييع عقيدته الإسلامية وإبدالها بالأقنعة الغربية الزائغة التي لم تغن يوماً في ملء الفراغ الروحي والعقائدي للشباب الغربي الذي اتجه إلى ابتداع عقائد منحرفة.

ومن أعياه فكره في إيجاد البديل الروحي لن يجد بداً من إنهاء حياته بوسائل وطرق الانتحار التي ظل يتفنن في تنفيذها. بينما راح شبابنا الإسلامي يتخبط في مدى تقبله لهذه الموجات الغازية من أفكار ضالة وعقائد باطلة وسلوكيات منحرفة والتي هي قشور المادية الغربية المعنية بإيجاد مزالق التيه والضلال ومهاوي الفساد والإضلال لشبابنا المسلم والجيل الناشئ الذي يحدو نحو الفكر الأصيل للخلاص من محنته ومصائبه.

ولسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) الكثير من المؤلفات الواعية إلى إنقاذ العالم الإسلامي من ما هو فيه وبالخصوص العمل على تنقية عقائده وأفكاره بالعقائد الإسلامية الصحيحة، وهذا الكتاب يعتبر موجهاً إلى المبتدئين والداخلين حديثاً في الإسلام فقد اعتمد سماحته أسلوب الحوار للبحث في مواضيع العقيدة وأصول الدين، واستقلالية كل مبحث على حدة لذا جاء الكتاب على قدر كبير من السلاسة التي تجعله في متناول فهم جميع المستويات.

[1] ملاحظة: أخذنا هذا الملف من الانترنيت ولابد من مطابقته لأصل الكتاب للتأكد من سلامته، حيث من المحتمل حصول بعض التقديم والتأخير والتغيير في الملف الالكتروني.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

جرف التيار الغربي الشباب المسلم، إلى حيث الإلحاد، والرذيلة وقد كان من خطط الاستعمار الدقيقة! فأي مسلم يقدم بلاد الإسلام لقمة سائغة إلى الكافرين ـــ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ـــ إن الرجل يرحب بالمستعمرين إذا نزع عنه الإسلام...

ولذا صب الاستعمار جهده لإلحاد الشباب المسلم، وقد نجح في هذه الخطة المشؤومة أكبر نجاح. وقد رأيت من الواجب أن أقدم إلى المبتدئين من شبيبتنا طرفاً يسيراً من أصول الإسلام، بأبسط صورة رداً على هذا الاعتداء الأثيم على الإسلام والإنسان.

وكل رجائي أن ينظروا إلى هذه الأدلة الساذجة، نظر القاضي، لا نظر المدعى عليه.

وأسأل الله تعالى لهم ولي الهداية والتوفيق وهو المستعان.

محمد الحسيني الشيرازي

١٣٧٦هـ

كربلاء المقدسة

/ دلائل الوجود

/ صفات وأسماء الله تعالى

/ لا تعترضه الأحوال

الأثر

ذهب الرجل نحو الخزنة الموضوعة في الطبقة الثانية، يحدث نفسه:

الآن آخذ الخمسمائة ديناراً.

أعمر بها الغرفة و...

فما فتحها إلا واندهش، ورجع القهقرى، عجيب! عجيب!

هل أخذها الخادمة؟ هل جاء السارق من حيث لا نشعر؟!.

فصاح قائلاً:

سلمى، زوجتي يا سلمى، أظن أن السارق أخذ الدنانير.

حالاً ـــ رفع التلفون:

ألو، ألو.

مدير الشرطة صباح الخير،

صباح النور، ماذا تريد؟

قد فقدت هذا اليوم مبلغ خمسمائة دينار من الخزنة ـــ.

مدير الشرطة:

الآن أبعث المفوض.

بعد عشر دقائق وإذا بالمفوض وبعض الشرطة أتوا إلى الدار فحصوا عن الخزنة والغرفة.

المفوض: افتح لي باب السطح.

يضحك الرجل قائلاً: لا تجد السارق في السطح، ولو كان لرأيناه.

المفوض: لا عليك، افتح لي باب السطح.

فتح الرجل الباب، فصعد المفوض والشرطة والرجل.

المفوض: إنه سارق غريب، لا خادمة.

الرجل: وكيف ذاك؟ ولا نرى سارقاً.

المفوض: هذا أثر لقدم شخص مر من الدرج إلى الحائط الشمالي، هو السارق لا غير.

الرجل: عجيب! لا أرى السارق.

المفوض: لو لم يكن سار فما هذا الاثر الذي نراه في السطح؟!

الرجل: كيف يمكن ان نصدق بوجود شخص لا نراه؟

المفوض: نصدق بوجوده من آثاره، وهذا معنى العقلاء (الأثر يدل على المؤثر) وعلى ضوء هـــذا قال العلماء: إن هذا العالم الكبير المشتمل على أنواع الحيوان:

الحمامة. الببغاء. البلبل. العصفور. الفرس. البعير. البغل. الحمار. الشاة. البقرة. الأسد. الـــدب. الفهد. النمر.

الأسماك المختلفة، الحشرات المتنوعة.

والنباتات الملونة: الليمون. البطيخ. التمر. العنب. التين...

والورود العطرة: البنفسج. السوسن. الرازقي. القداح...

والمعادن الكثيرة: النفط. القير. الذهب. الفضة. البرليان...

والمياه الوافرة: العيون. البحار. الأنهار.

والإنسان بألوانه: الأحمر. الأبيض. الأسمر. الأصفر...

والجبال الشاهقة.

والسماء العجيبة بما فيها: الشمس. القمر. النجوم. الشهب..

لا بد وأن يكون لها مؤثر وصانع، خلقها وأتقن صنعها.

وهناك يسأل الرجل قائلاً: من هو صانع العالم؟

أجاب المفوض: إنه هو (الله).

الصدفة

رأى «محمد» وهو في الصف السادس الإبتدائي (ساعة) عند صديقه (محمود).

فسأله: من أين لك هذه (الساعة)؟.

قال له محمد: لم أشترها من محل الساعات، وإنما كنت أذهب صباح أمس من المدرسة إلى الـــدار وفجأةً رأيت: إن هذه الساعة بيدي ولا أعتقد أن لها صانعاً.

محمود: هذا الذي تقوله (يا محمد) عجيب!

لا يمكن أن تصير (ساعة) بنفسها بدون أن يصنعها أحد.

لعلك تريد أن تضحك مني!

محمد: الساعة أعظم أم السماء؟

محمود: السماء.

محمد: الساعة أعظم أم هذا العالم بما فيه من الإنسان والحيوان والنبات والمعدن....؟

محمود: العالم أعظم من الساعة.

محمد: عجيب!! أنت (يا محمود) تعترف بأنه لا بد للساعة من صانع، ولا تعترف بـــأن للعـــالم صانعاً، نعم يا صديقي، يا محمود لهذا العالم صانع وخالق يسمى: (الله) وهذا معنى قول العقلاء: (كل مصنوع لا بد له من صانع).

محمود: أحسنت يا صديقي يا محمد، نعم الدليل هذا، ولكن لي صديق في الثانوية اسمه (أحمد) هو في الصف الخامس، وتعلم أنه يفهم أكثر مني، ولعله لا يقتنع بهذا الدليل، فهل عندك دليل علمي كي نقنعه بوجود (الله)؟

محمد: نعم، إني تعلمت من أستاذي دليلاً علمياً يكفي لإقناعه.

فهات يا محمود نذهب إلى (أحمد) لأذكر له دليل أستاذي..

وجود الله

محمد: صباح الخير (أحمد).

أحمد: صباح النور، لماذا أتيت؟

محمد: أتيت لبيان دليل عندي على وجود (الله).

أحمد: أهلاً ومرحباً، هات دليلك.

محمد: أنا أسألك أربعة أسئلة، أجبني عنها.

أحمد: نعم أجيبك.

محمد: أنت شيء موجود وكنت قبل عشرين سنة (لا شيء) أليس كذلك؟

أحمد: ـــ١ـــ نعم هو كما تقول.

محمد: هل أنت خلقت نفسك؟

أحمد: لا، لا يمكن أن يخلق الإنسان نفسه هذا واضح .

محمد: ـــ٢ـــ هل ان أبوك وأمك، أو سائر الناس، خلقوك؟

أحمد: يمكن ذلك.

محمد: لا يمكن ذلك، إذ لو كان أبوك وأمك خلقاك لكانا يعلمان بما فيك من القلب، والكبـــد، والمعدة، والرئة، والطحال، والكلية.

وأبوك لا يعلم عن هذه الأعضاء شيئاً كثيراً، ولو كان خلقك لكان يعلم كل شيء حول هـــذه الأعضاء. لأن كل من يصنع شيئاً يعلم جميع خصوصياته.

أحمد: نعم هذا دليل على أن أبي وأمي وسائر الناس لم يخلقوني.

محمد: ـــ٣ـــ هل ان شيئاً بلا عقل ولا شعور ولا علم خلقك؟

أحمد: هذا لا يمكن، إذ خلقي يحتاج إلى العلم ـــ وهذا واضح ـــ.

محمد: ـــ٤ـــ إذاً صرت بلا خالق، وبلا صانع؟ أحمد: لا، لا يمكن هذا، لأن كل شيء يحتـــاج إلى صانع.

محمد: إذا بطلت هذه الإحتمالات الاربعة فلا بد أن تقول : خلقك عالم قادر مدرك.

أحمد: نعم هو كذلك، فمن هو يا ترى؟!.

محمد: هو (الله) ولا بد يا «أحمد» أن تعترف: بأن (الله) خلقك.

أحمد: اعترفت بذلك، أشكرك على هذا الدليل، وقد كنت قبل هذا أفتش عن دليل علمي مقنع، فوجدته الآن.

الطبيعة

... وبعد تفكير طويل تكلم قائلاً، أليس يقولون أن (الطبيعة كونت هذه الأشياء)؟

محمد: هل للطبيعة عقل أو قدرة أو علم؟

أحمد: لا.

محمد: فما هي الطبيعة؟. اشرحها لي من فضلك.

أحمد: لا أدري ما هي.

محمد: إن كان مرادهم بالطبيعة: شيء عالم قادر و.. فهو الذي نسميه (الله).

وإن كان لا شيء بلا علم ولا قدرة، فما لا علم له لا يمكن أن يبدع، وما لا قدرة له لا يمكن أن يخلق.

محمد: هل الشخص الأعمى الأعرج الأشد الأبكم و... يتمكن من بناء (دار)، أو صنع (ساعة) أو....؟

أحمد لا يتمكن.

محمد: فالطبيعة العمياء الجاهلة غير القادرة يمكن أن تصنع العالم العجيب؟!! ثم ماذا هي الطبيعة، هل هو الهواء، أو الفضاء، أو الأشجار والأنهار، أو الحيوان والانسان، أو...؟ ؛كلها تحتاج الى العلة، فلا تكون علة لغيرها.

الصانع

عندما أخذ (علي) الكاميرا بيده، سأله أخوه الأصغر (جمال) قائلاً: لمن هذه الكاميرا؟ أجابه أنها لي.

فسأله أخوه مرة ثانية؛من الذي صنعها؟

علي: صنعها رجل فلاح، اسمه (عدنان).

استغرب (جمال) من هذا الجواب، وقال: (عدنان) رجل بدوي جاهل ليس له علم ولا معرفة، ولم يذهب الى المدرسة، ولا اشتغل بالصناعة. وهذه الكاميرا لا يمكن أن يصنعها رجل جاهل (كعدنان)؟!.

علي لقد حكمت على نفسك يا جمال.

جمال: وكيف ذلك يا (علي)؟!.

علي: أولاً لأني سمعتك منذ بضعة أيام تقول:

صانع العالم لا يلزم أن يكون (عالماً) فأقول لك: كيف تحتاج كاميرا صغيرة الى أن يصنعها رجل عالم. ولا يحتاج هذا العالم الكبير الوسيع الذي يبهر العقل، هذا العالم الجميل، هذا العالم الذي رتب ووضع فيه كل شيء في موضعه.

لا يحتاج الى صانع عالم؟!.

علي: ثانياًإن صانع العالم لا بد أن يكون عالماً.

جمال: نعم هو كذلك، وإني أخطأت فيما قلت سابقاً ــ لا يلزم أن يكون صانع العالم عالماً ــ.

القادر

هاشم: مررت سابقاً برجل عالم بالهندسة يعرف الحساب والرياضيات ويسمى: (الحليم) لكنه كان مقطوع اليدين فقلت لرجل كان بجانبي ما هو عمل هذا الرجل؟

أجابني: عمله (البناء)، يبني القصور الشامخة، والدور الواسعة.

هاشم: تعني بذلك يأمر العمال بالبناء؟

الرجل: لا (الحليم يبني بنفسه).

هاشم: قولك هذا عجيب!الرجل: لم؟

هاشم: لأن الرجل الذي ليس له يد، لا يتمكن من البناء بنفسه.

الرجل: لماذا؟

هاشم: لأنه لا قدرة له، وكل من لا قدرة له لا يتمكن من البناء بنفسه.

الرجل: نعم هو كما تقول، وإني كنت مخطأً في هذا الاعتقاد لكن أرجوك يا (هاشم) إن تبين لي بذلك ببيان أوضح.

هاشم: لا بأس، وإني أشكرك على تقديرك للعلم، وحرصك على معرفة الواقع.

اعلم يا اخي: إن كل صانع لابد له من قدرة على مصنوعه مثلاً:

النجار لا بد أن يقدر على النجارة.

والبناء لابد أن يقدر على البناء.

والخطيب لا بد أن يقدر على الكلام.

والفلاح لا بد ان يقدر على الحرث، وما الى ذلك..

وهذا كلام يطابق العقل، فاذن:

لا بد أن يكون صانع العالم ــ الله ــ قادراً، والا لم يتمكن من ايجاد هذه الموجودات.

النتيجة:

١ ــ إن للعالم خالقاً وصانعاً يسمى (الله).

٢ ــ إن (الله) عالم بجميع الأمور.

٣ ــ إن (الله) قادر على جميع الممكنات.

الحي

... نزل من على سنام إبله بعد أن اضطرب به وأوشك أن يسقط على الأرض، فأخذ ينظر إلى البعير وهو في حالة النزع، والبعير يقبض يداً ويبسط رجلاً، ويحرك ذنبه.

كان ينظر إليه نظر المتعجب، وكأنه لم ير ملامح الموت الى ذلك الحين؟!

مات البعير..

أخذ الرجل يتفحص البعير متسائلاً، له عين! فلم لا يبصر؟! له اذن! فلم لا يسمع؟! له يد ورجل؛فلم لا يتحرك وينهض؟ يردد ويسأل نفسه هذه الأسئلة ومضت عليه مدة عشرة دقائق هكذا!! ومر من ذلك المكان رجل، فنظر الى حالهما، فرأى البعير ميت، والأعرابي متعجب أي تعجب!!!

... سأله قائلاً: ما بالك يا رجل؟ لم تنظر إلى البعير الميت نظر المتعجب؟!

قال الأعرابي: أتعجب من هذا البعير، لم لا يتحرك مع أن أعضائه سالمة؟!

الرجل: أيها الأعرابي، ليست الحركة بالأعضاء فقط، فالروح جوهر الإنسان، والحيوان، لا يتمكن من النظر والسماع والحركة و(التكلم في الانسان)، وما الى ذلك بدون الروح، لأن بعيرك فاقد الروح، فهو فاقد للحياة أيضاً..

استغرب الأعرابي الجاهل هذا الكلام: لكنه رأى أنه لا مجال الا للقبول.

فالقضاء وقع، والبعير ليس هو البعير السابق.

من هنا أخذت الفلاسفة كلامها: بدون الحياة لا يمكن صدور الشيء الذي يحتاج الى الحياة.

المريد

أخذ (فائق): الولد الصغير الذي عمره (سبع سنوات) يضحك قائلاً:

نار(الموقد) جاهلة، نار(الموقد) جاهلة.

أخوه ذكي: و لم ذاك يا (فائق)؟

فائق: إنها أحرقت شعر أختي (فضيلة) وهذا عمل الجاهل.

ذكي: لا أخي، لا، هذا العمل ليس من جهلها.

فائق: فلماذا أحرقت شعرها الذهبي الجميل؟

ذكي: النار من طبيعتها الإحراق، لا تشعر إن الذي تحرقه (حطب) أو (شعر) أو (ورق). لا تميز بين هذا وذاك.

فائق: أوضح ذلك.

ذكي: كل من يعمل شيئاً لا يكون إلا واحداً من اثنين.

الأول: أن يكون بدون إرادة (كالنار) تحرق بلا إرادة.

الثاني: أن يكون مع الإرادة (كالإنسان) فإنه يذهب إلى السوق (بالارادة) ويذهب إلى المدرسة (بالإرادة) وهكذا الحيوان (يأكل) بالإرادة(ويشرب) بالإرادة.

إن إراد (فعل) وإن أراد (لم يفعل).

ومن هنا نقول: (الله) صاحب الإرادة.

فنرى أنه يريد(أن تمطر) في هذا اليوم (فتمطر) ويريد أن (لا تمطر غداً) (فلا تمطر).

يريد أن (يرزق فلاناً ابناً) فيرزقه (ابناً). ويريد أن (يرزق فلاناً بنتاً) فيرزقه (بنتاً).

هل عرفت ذلك يا (فائق)؟

فائق: نعم عرفت ذلك.

ذكي: إذا عرفت ذلك فاشرح لي.

فائق: إن (الله) مريد: نعني أنه يفعل الأشياء (بالإرادة). إن شاء فعل ـــ وإن شاء لم يفعل. وليس حاله كحال (النار) التي لا إرادة لها تحرق كل شيء صادفته.

ذكي: أحسنت يا (فائق) لكن أحب أن تعد لي ما قرأته في هذا (الكتاب) إلى هنا.

فائق: نعم. قرأت (إلى هنا) خمسة أمور.

الأول: إن للعالم خالقاً وصانعاً يسمى: (الله).

الثاني: إن (الله) عالم بجميع الأشياء.

الثالث: إن (الله) قادر على كل شيء.

الرابع: إن (الله) مريد.

المدرك

... قال سعيد مخاطباً صديقه جواد وهو يمازحه: إلك عين؟

جواد: نعم لي (عين).

سعيد: ما تصنع (بالعين)؟

جواد: انظر بها إلى هذا الكون، فأرى كل شيء.

سعيد: هل لك (أذن)؟ وما تصنع بها؟

جاد: نعم، لي (أذن)، وأسمع بها الأصوات.

سعيد: هل لك(حس)؟

جواد: نعم.

سعيد: ما تصنع به؟

جواد: أدرك به الأشياء. مثلاً: أعرف أن هذا (حار) ذاك(بارد) هذا (خشن) ذاك (لـــين) هـــذا (رطب) ذاك (يابس).

سعيد: ـــ ضاحكاً ـــ فانت إذاً يا (جواد) مدرك.

جواد: ما معنى (مدرك)؟

سعيد: المدرك معناه: الذي يبصر الأشياء، ويسمع الأصوات، ويحس بالأشياء.

جواد: ذكرتني يا سعيد شيئاً، كنت سمعته عن والدي قبل مدة!

سعيد: وما هو يا (جواد)؟

جواد: سمعت والدي يقول:

الله مدرك ـــ و لم أفهم معناه. فالآن أود أن تفسّر لي ذلك؟

سعيد: إن معنى كون الله مدركا:

أنه يبصر الأشياء، ويسمع الأشياء، ويدركها.

جواد: عجيب!!

الله يبصرنا ويسمع كلامنا ويدرك ما نفعله ؟!

سعيد: نعم، يا (جواد) ــ إن الله ــ يرى كل شيء. حتى إنه يرى ــ النملة الصغيرة ــ في الليلة الظلماء. ويراك، ولو كنت في غرفتك والباب مغلق. فاللازم أن تراقب نفسك يا (جــواد) حــتى لا يصدر منك عمل قبيح.

نعم يا (جواد) إن (الله) (يسمع كل صوت). حتى إنه يسمع (طنين الذباب). ويسمع (كلامك) ولو كنت تتكلم مع صديقك (سراً) فاللازم عليك أن تتحفظ على كلامك يا (جــواد)، حــتى لا يصدر منك (كلام قبيح).

نعم يا (جواد) إن (الله) يدرك جميع الأشياء، يدرك ما نفعله يدرك ما نقصده (ولو بقلوبنا).

جواد: مستغرباً!

(الله) يدرك ويعلم (ما في قلوبنا)؟!

سعيد: نعم، يا جواد، (نعم).

جواد: إذاً، يلزم علينا أن لا نقصد شيئاً قبيحاً، ولا ننوي نية سوء.

يا (سعيد) علمتني شيئاً ما كنت اعرفه.

وأظن: أن غالب (طلاب مدرستنا) لا يعرفون ذلك.

سعيد: آسف لهذا.

موجز الصفات

... وقع نظره على (زهرة جميلة) في وسط (الحديقة) قال (للمعلم): أيها: (الأستاذ): مــن أيــن هذه (الزهرة الجميلة)؟

المعلم: عجيب سؤالك! معلوم أن (الفلاح) وضعها في هذا الموضع.

راشد: نعم، يا أستاذ، اعلم بذلك، لكن أسألك: من أين هذه الزهرة؟ وما أصلها؟

المعلم: الآن عرفت سؤالك، نعم، يا (راشد): أصل (الزهرة) (بذرة) يدفنها (الفلاح) في الأرض الصالحة، فتنتج بعد مدة هذه (الزهرة الجميلة).

راشد: البذرة من أين؟

المعلم: إذا يبست (الزهرة) في (الخريف) أو (الشتاء) يأخذها (الفلاح) وفيها (كمية) من بــذور هذه الزهرة.

راشد: عندي سؤال آخر؟

المعلم: اسأل.

راشد: تفضلتم أولاً أن (هذه الزهرة) التي نراها هي (البذرة). وثانياً قلتم: إن (تلك البذرة) هي (زهرة) كانت قبلها.

إذاً، فالزهرة من البذرة والبذرة من الزهرة...

فإلى أي مكان ينتهي الكلام؟

المعلم: اعلم يا (بني) أن لكل شيء بدءاً، ينتهي إليه، مثلاً: أفراد الإنسان بدئهم آدم (ع) وأفراد الزهور، بدئهم (زهرة ــ أو بذرة) خلقها (الله) وهكذا، فلكل شيء بدء (إلا) شيء واحد، فإنه لا(أول) له، ولا (آخر).

راشد: وما هو ذلك الشيء يا (أستاذ)؟

المعلم: ذلك الشيء الذي لا بدء له، هو (الله)...

فإنه كان أول جميع الأشياء، وقبلها، ثم يفنى جميع الأشياء، ويبقى هو كما كان.

هذا هو معنى قول العلماء: (الله: لا أول له، ولا آخر له) وقولهم: (الله: أزلي، أبدي).

المعلم: يا (راشد) لو سألك صديقك قائلاً: ما تعرف من (الله) وما هي (صفاته)؟

فبماذا تجيبه؟

راشد: أقول له: أعرف من (الله) من(صفاته) أموراً (سبعة).

المعلم: بينها لي يا (راشد).

راشد:

الأول: إن للعالم خالقاً وصانعاً هو (الله).

الثاني: إن (الله) عالم بجميع الأشياء.

الثالث: إن (الله) قادر على كل شيء.

الرابع: إن (الله) حي.

الخامس: إن (الله) مريد: يريد شيئاً، فيفعله ــ أو لا يريد شيئاً، فلا يفعله.

السادس: إن (الله) مدرك: يرى الأشياء، ويسمع الأصوات ويدرك الأشياء، ويعلم ما في القلوب.

السابع: إن (الله) ــ أزلي ــ كان قبل كل شيء ــ أبدي ــ يبقى بعد كل شيء.

كلام الله

.... دخل مهدي على الحاكم ومعه عباس وقال:

مهدي: سلام عليكم (حضرة الحاكم).

الحاكم: وعليكم السلام.

مهدي: هذا (عباس) أخذ يطالبني بداري التي هي لي، ورثتها عن أبي، قائلاً: أنها لي، ويريد إخراجي.

الحاكم: ألك شهود يا (عباس)؟

عباس: حضرة الحاكم، ليس لي شهود، ولكنها داري وهي ملكي وإن والد هذا الرجل غصبها عني ثم من بعده صارت إلى ابنه (مهدي).

الحاكم: اليوم أشغالي كثيرة، نؤجل الدعوة إلى (غد).

وفي الليل يذهب عباس إلى (الحاكم)....

عباس: سلام عليكم.

الحاكم: عليكم السلام.

عباس: هذه هدية مني إلى (حضرتكم) أرجوكم أن تقبلوها.

الحاكم: لا بأس...

مهدي: ــ في الغد ــ تعال يا (عباس) هذا يوم الموعد، نذهب إلى (المحكمة).

عباس: نعم.

مهدي: السلام عليكم يا (حضرة الحاكم).

الحاكم: عليكم السلام.

مهدي: يعيد الدعوى مرة ثانية.

الحاكم: ما تقول يا عباس؟

عباس: يعيد كلامه السابق ــ في أمس .

الحاكم: إني أرى أن تتصالحوا.

مهدي: و لم ذاك؟ وهذه داري، ورثتها عن أبي، كل جيراني يعرفون ذلك، و ــ عباس ــ رجل ظالم، لا شاهد له، ولا دليل.

الحاكم: اسكت، اخرج، أنا ممثل الحكومة ولا يحق لك الإعتراض علي، إني تفحصت، فثبت لي من القرائن أن الدار ملك لعباس.

مهدي: بعد تفكير طويل، علم بما كان، فقال: أهذه قاعدة الدعوى؟! أهكذا تجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً؟! ألم تسمع ــ الله ــ يقول:

(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)(١).

الحاكم: اطرق رأسه ساعة، يفكر ــ كلام الله ــ ثم رأى موقفه حرجاً بين الحق والباطل. بين الله ــ و ــ بين هدية عباس ــ غلبه عقله ــ بالنتيجة ــ فأعطى الحق لصاحب الحق ــ مهدي .

وأخرج عباس من قاعة المحكمة ـــ بالإهانة . ثم توجه إلى ـــ مهدي ـــ قائلاً:

أصبر قليلاً، لي معك كلام...

وانتظر مهدي حتى فراغ الحاكم عن الدوام.

الحاكم: أحسنت يا ـــ مهدي ـــ ذكرتني شيئاً، نسيته. أرجوك أن تفسر لي معـــنى قولـــك: الله يقول. هل الله يتكلم؟ وكيف تكلمه؟.

مهدي: نعم، يا حضرة الحاكم ـــ الله يتكلم.

ومعنى ذلك: أنه يوجد الصوت في ـــ شيء ـــ لأن الله قادر على كل شيء.

الله ليس له لسان وفم مثل الإنسان والحيوان بل يخلق الكلام ـــ في الهواء ـــ مثلاً..

الحاكم: أحسنت، أنا كثيراً ما كنت أسمع، من الخطباء، وغيرهم قال الله ـــ يقول الله ـــ كلـــم الله موسى... وما كنت أعرف معنى ذلك.

والآن عرفت ذلك، بفضلك، فأشكرك يا ـــ مهدي .

الصادق

.... آه ما أكثر البرد، آه ما أشقى الفقير؟!

الزوبعة شديدة، والمطر أخذ يهطل، زوجي غائب لم يأت إلى هذه الساعة من الليل.

أخاف أن ينهدم سقف غرفتنا على الأطفال، فما اقول لزوجتي، يا الله؟

استعبرت باكية...

جعفر ـــ جارها، يسمع صوتها في وسط الليل المظلم، فقام من فراشه قائلاً لزوجته:

محياة ـــ ما هذه الرنة والبكاء؟

محياة: هذا صوت بكاء جارتنا ـــ لمية ـــ وهي فقيرة، ودارها خربة وزوجها لا يتمكن من القيـــام بواجبها، لأنه فقير مثلها.

جعفر: ما رأيك إن لي في ـــ البانك ـــ ألف دينار أشاطر زوجها بنصف مالي، حتى يـــبني داره، ويعيش هو وعائلته في رفاهية وسعادة؟.

محياة: عجيب منك يا ـــ جعفر ـــ تتعب من الصبح إلى الليل في ـــ الهندسة والبناية ـــ ثم تعطي نصف ما تملك لفقير، ليس ينفعنا شيئاً؟!!

جعفر: لكنه ينفعنا.

محياة: ما هو نفع ذلك وأي نفع له؟

جعفر: ــ إن ــ الله ــ وعد من يحسن إلى ــ الفقراء ــ أن يوسع عليه ويعطيه عــوض ذلــك أضعافاً كثيرة.

محياة: هل ــ الله ــ يفي بما يعد؟

جعفر: نعم، يا محياة ــ إن الله ــ صادق في كلامه، يفي بما وعد، فإذا قال شيئاً صدق كلامــه، وإذا وعد بشيء وفى بوعده.

محياة: اشرح لي ذلك يا ــ جعفر .

جعفر: نعم: الشخص الذي يكذب:

١ــ اما ــ لأنه جاهل ــ مثلاً: يقول: يكون كذا ــ في غد ــ وهو جاهل بأنه لا يكون.

٢ــ واما ــ لأنه محتاج ــ مثلاً: يقول: أعطيك ديناراً، إذا فعلت كذا، لأنه محتاج إلى فعل ذاك الشخص، ثم لا يعطيه الدينار، لعوزه والله ليس بجاهل ــ ولا محتاج.

المسبب

... بلى جديداً جاء من الجامعة، وأظنه أحسن الدكاترة، لأنه:

أولاً: حائز على شهادة راقية، ويعرف آخر العلوم الطبية المكتشفة.

ثانياً: وأهم من هذا أنه مؤمن بــ(الله).

بني: توفيق ــ إذا كان كذلك فالدكتور طه ــ أحسن الدكاترة ــ فأتي به حالاً، لأن أختــك مريضة جداً.

توفيق: نعم، الآن....

توفيق: مرحباً بك يا دكتور طه.

الدكتور: مرحباً بك.

توفيق: أختي الصغيرة: آنسة مريضة، وقد راجعنا كثير من الأطباء، أظنهم ما عرفوا مرضها ولهذا بقيت تكابد ألم الخاصرة منذ زمان.

أرجوك أن تتفضل معي إلى الدار.

الدكتور: نعم،...

حسين: صباح الخير ــ دكتور .

الدكتور: صباح النور.

حسين: هذه بنتي ــ آنسة ــ منذ ستة أشهر وهي مريضة وراجعنا الدكاترة فوصفوا لها أدويــة هي هذه... ولكن حالتها لم تتغير فما ترى بالنسبة إليها؟.

الدكتور: ما تشعرين يا بنتي؟.

آنسة: أشعر بألم في خاصرتي منذ زمان.

الدكتور: أخذ في الفحص مدة، ثم قال أصبت موضع المرض الآن ــ إن شاء الله .

الدكتور: يا ــ حسين ــ تأخذون هذه الأدوية من الصيدلية ــ وتستعملونها إلى ثلاثة أيام، وأظنها تطيب. وبعد ذلك (أخبروني) رجاءاً.

حسين: ابني ــ توفيق ــ حالاً اشتري الدواء.

توفيق: نعم .

وبعد لحظات أحضر توفيق الأدوية، وأعطاها لوالده.

حسين: استعمليه (بنتي آنسة).

آنسة: نعم، وشرعت آنسة في استعمال الدواء من ــ يوم الجمعة .

السبت ...

الأحد ...

آنسة: والدي أحس أن الوجع قد زال.

حسين: آنسة، ما تحسين بالمرض؟!عجيب!

توفيق: والدتي تعالي ــ آنسة ــ تقول: المرض قد زال.

وجاءت الوالدة مستبشرة قائلة: ولدي ــ توفيق ــ اذهب إلى (الدكتور) وأخبره ليأتي ويفحصها مرة ثانية.

الدكتور: كيف الصحة(آنسة)؟

آنسة: لقد زال المرض بتأثير الدواء.

الدكتور: قولي: (الحمد لله).

آنسة: مستغربة! ما معنى (الحمد لله)؟

الدكتور: إن (الله) إذا شفى مريضاً، يلزم على المريض أن يشكر (الله) مثل ما إذا أهدى إليك شخص هدية، أو أكرمك، أو.. تقولين أشكرك...

كذلك إذا عافاك (الله) يلزم ان تقولين (الحمد لله) (شكراً لله).

آنسة: متعجبة!! بفضلك يا (دكتور) شفيت، ولا يرتبط (بالله)؟

الدكتور: اعلمي يا آنسة: أن الأمور كلها بإرادة (الله).

آنسة: فسر لي ذلك يا دكتور لأني ما سمعت بهذا (في المدرسة).

الدكتور: اعلمي يا آنسة إن (الله) هو الذي (يمرض) و ــ يشفي ــ و يعطي ــ و يحي ــ و يعز ــ و يذل ــ و يفقر ــ و يغني ــ (يخلق من يشاء ذكراً) و(يخلق من يشاء انثى) وما إلى ذلك...

آنسة: أنا بالعكس من ذلك أظن، مثلاً:

الشخص يأكل غذاءً لا يناسب مزاجه (فيمرض) فيجيء الدكتور ويعطيه الدواء (فيشفى).

الشخص يجاهد في الكسب (فيغنى) ولا يكسب (فيفتقر) وما إلى ذلك... وهكذا تعلمناه في المدرسة!

الدكتور: ليس هكذا يا آنسة.

أما ترين كثيراً من الناس يأكلون الغذاء غير المناسب، ومع ذلك لا يمرضون؟ وبالعكس كثيراً من الناس لا يأكلون غذاءاً غير مناسب ومع ذلك يمرضون؟

أما ترين كثيراً من الأشخاص يجاهدون في الكسب، ومع ذلك (هم فقراء)؟ وبالعكس كثيراً من الناس لا يجاهدون ومع ذلك هم أغنياء؟

يأتي الطبيب إلى كثير من المرضى؟ فلا يفيدهم انظري المستشفيات، وكذلك لا يراجع كثيراً من المرضى الأطباء، ومع ذلك يبلون من المرض، وما إلى ذلك...

من هذا، نفهم أن الأمر تحت قدرة وإرادة (الله) وحده.

آنسة: أشكرك (دكتور) فهمت كلامك، وما أجمله؟!. لكن لي سؤال؟

الدكتور: اسألي يا بنتي.

آنسة: إذا كانت الأمور كلها بإرادة (الله) فلم يشتغل الناس؟ يأتون بالطبيب لمرضاهم؟ لم يكدحون لتحصيل مقام أو منصب؟ وما إلى ذلك؟.

الدكتور: سؤال مليح جداً، يا (آنسة) والجواب أن:

السبب في هذه الأمور أن (الله) جعل لكل شيء سبباً، فهو يشفي لكن بواسطة (الدكتور). هو يعطي الجاه والمقام، لكن بواسطة الكد و التعب. هو يغني، لكن بواسطة الكسب والتجارة.

وما إلى ذلك لكن كثيراً ما لا تنتج المقدمات، ليعلم الناس أن الأمر بيد الله تعالى.

آنسة: لم لا يفعل (الله) الفعل ابتداءاً، بدون السبب؟

الدكتور : ليدبر أمور العالم، فإنه لولا احتياج الناس لبقية الدكاترة بلا شغل. ولولا احتياج الناس إلى المال والكسب، بقي الناس لا يستورد أحدهم شيئاً، ولا يبيع شيئاً، فالناس يبقون، بلا أكل، بلا لباس، بلا...

آنسة: يتبين أن (حضرة الدكتور) من علماء النفس الروحانيين كما أنه من علماء الطب. وأشكرك يا دكتور شكرين:

١ ــ لأنك سبب شفاء جسمي.

٢ ــ ولأنك علمتني ما لم أكن أعلم.

كما وأني أقول: (الحمد لله) و(شكراً لله).

مراجعة

الأستاذ أمين: أيها التلميذ الزكي أظنك: قرأت القسم الأول من كراسة (كيف عرفت الله).

عدنان: نعم، يا أستاذ.

الأستاذ: هل تتمكن أن توجز لي محتويات ـــ هذا ـــ القسم ؟

عدنان: بلى، أتمكن من ذلك (إن شاء الله).

الأستاذ: بين لي ذلك.

عدنان: محتويات ـــ هذا القسم ـــ ترجع إلى أصول عشرة:

(١): إن (الله) خالق العالم، وموجده.

(٢): إن (الله) عالم بجميع الامور صغيرها وكبيرها.

(٣): إن (الله) قادر على كل شيء.

(٤): إن (الله) حي، ليس بميت.

(٥): إن (الله) مريد: يريد أن يفعل فيفعل. ويريد أن لا يفعل فلا يفعل. فكل ما يصدر عنه يصدر عن إرادته.

(٦): إن (الله) مدرك: يرى جميع الأشياء، يسمع جميع الاصوات، يدرك جميع المدركات.

(٧): إن (الله) أزلي، أبدي: كان قبل كل شيء، وسيبقى بعد كل شيء.

(٨): إن (الله) متكلم: يخلق الكلام ـــ في الهواء أو غير الهواء ـــ فيسمع كلامه من يريد.

(٩): إن (الله) صادق في أقواله، ووعوده: لا يكذب، يفعل ما يعد، ويصدق فيما يقول.

(١٠): إن (الله) بإرادته تقع الأمور: الحياة، الممات. الغنى، الفقر، الصحة، المرض، العز، الذل. وما إلى ذلك.

مثال

شراب السكنجبين ـــ له جزءان:

١ ـــ الخل.

٢ ـــ السكر.

جمع بينهما شخص، بكيفية خاصة، فصارا شيئاً واحداً يسمى سكنجبين.

وكذلك يا (هادي) كل شيء له جزءان، لا بد أن يجمع بين الجزئين جامع.

فؤاد: عرفت ذلك، يا (هادي)؟

هادي: نعم، عرفت ذلك. لكن لا يرتبط كلامك هذا بما كنا نتكلم حوله: وهو أن (الله) لاجزء له.

فؤاد: يرتبط

هادي: كيف ذلك.

فؤاد: أنا قلت: (الله) ليس له جزء، والآن أقول: هو بسيط ـــ لأنه لو كان له جزءان احتاج لأن يجمع بين جزأيه جامع .

وقد علمت ـــ في القسم الأول ـــ أن (الله) قبل كل شيء.

فليس شيء قبله، حتى يجمع بين جزئيه.

إذاً. فلا جزء (لله): بل هو(بسيط).

هادي: أشكرك، لكن بقي لي سؤالاً؟ وهو أني سمعت: (الله ليس بمركب). هذا هو معناه؟

فؤاد: نعم، معنى أن (الله ـــ ليس بمركب): أنه ليس له جزءان، أو أكثر

... لا، هذا غلط، اسأل مدير المختبر.

هادي: فما تقول أنت يا (فؤاد)؟

فؤاد: كل ما كان له (جزءان) لا بد أن يكون هناك ما يجمع بينهما.

هادي: بين لي ذلك بالمثل.

فؤاد: نذهب إلى مدير المختبر، لأنه أعلم مني، ويتمكن من البيان ـــ واضحاً .

فؤاد: السلام عليكم (سيادة المدير).

المدير: عليكم السلام. ما جاءك يا فؤاد أنت وهادي؟

فؤاد: وقع بيني وبين (هادي) كلام حول مسألة طفيفة: أن كل ما كان له (جزءان) لا بـــد أن يكون هناك ما يجمع بينهما.

هادي: ـــ ينكر ذلك ـــ وأنا، أثبته.

المدير: ـــ الحق معك (يا فؤاد).

هادي: ـــ تفضل يا (مدير) ببيان ذلك.

المدير: ـــ يا (هادي) أترى ماء النهر؟ إن له جزأين:

١ ـــ الماء.

٢ ـــ الطين.

الماء شيء، الطين شيء. جمع بينهما عوامل خارجية، وإلا الماء في (العين) صاف، والطين كـــان تراباً حول الشاطئ، فلما جرى الماء اصطدم بالتراب ـــ لقوته ـــ فاختلط الماء بالطين.

١ ـــ النساء آية ٥٨.

البعد والقرب

... لا أقدر (ابنتي) دمشق، بعيدة. أنا الآن في (بغداد).

هيفاء: مد يدك يا(أبه) إلى (دمشق). جئني (بالمجلة المصورة) التي رأيتها ــ أول الشهر الماضي ــ حين كنا في (الشام) للاصطياف أنت تقدر.

صادق: لا أتمكن (ابنتي) يدي القصيرة لا تصل إلى الشام.

هيفاء: كيف تتمكن أن تأخذ الشيء من (الرف)؟ ولا تتمكن من أخذ (المجلة) من (دمشق). لماذا؟!.

صادق: ابنتي فرق بين الأمرين (الرف) قريب مني. (دمشق) بعيدة عني. وأنا جسم، والجسم يفرق بالنسبة إليه (القريب) و(البعيد).

هيفاء: فكيف تقول (والدتي): (الله) لا يفرق بالنسبة اليه القريب والبعيد؟!

صادق: فرق بيننا وبين (الله).

هيفاء: ما هو الفرق؟

صادق: نحن جسم. و(الله) ليس بجسم.

هيفاء: جسم، ليس بجسم، ما عرفت المعنى! فسّرلي؟

صادق: نعم (إبنتي هيفاء):

الجسم: مثل الانسان، الفرس، الشجر، المعدن، الماء.

هذه الأمور تكون في مكان، مثلاً:

الإنسان في الدار، الفرس في الإصطبل، الشجر في الحديقة، الماء في النهر...

وهذه الأشياء ــ طبعاً ــ يكون قريباً إلى الشيء، بعيداً عن شيء، مثلاً:

الشخص الذي في الدار قريب من الكتاب الذي في (الرف)، بعيد عن الكتاب الذي في (المكتبة التي خارج البيت)

وهكذا، الشجرة في الحديقة، قريب من الشجرة التي بينه وبين تلك الشجرة (متر) بعيد عن الشجرة التي في (حديقة) أخرى.

فإذاً: الجسم، يقرب من شيء، ويبعد عن شيء آخر.

و(الله) ليس كذلك:

ليس له مكان: معناه: ليس في السماء ليس في الأرض، ليس في الدار.

فإذاً: كل شيء بالنسبة له (قريب).

هيفاء: أوجز المطلب لي في (كلمتين) يا ابه.

صادق: نعم:

١ ــ (الله) ليس بجسم، وليس له مكان، فهو ليس بعيد عن شيء بل كل شيء (قريب) بالنسبة اليه.

٢ ــ (الجسم) له مكان، فهو بعيد عن شيء وقريب من شيء آخر.

الرؤية

هو مجنون ــ يقينا ــ.

منير: لا أراه مجنوناً!.

أسعد: لا، لا، مجنون.

منير: من أين عرفت أنه مجنون؟ هو عاقل.

أسعد: الناس يقولون مجنون، اسأل.

منير: ما قيمة كلام الناس. أنا أختبره بنفسي.

أسعد: كيف نختبره؟

منير: انظر: هل له عقل، أم لا؟..

أسعد: في أي موضع عقله، حتى أنا أنظر (أيضاً)؟

منير: صديقي (أسعد) الأشياء قسمان:

الأول: ما يمكن أن ينظر اليه الانسان.

الثاني: ما لا يمكن أن ينظر اليه الانسان.

أسعد: مثل لي من فضلك.

منير: نعم:

١ ــ الإنسان يمكن رؤيته، الشجر، يمكن أن نراه، البحر يتمكن الشخص من أن ينظر اليه، هكذا الحيوان، الحديقة، السيارة، الطائرة.

٢ ــ العقل لا يمكن رؤيته. الروح لا يمكن رؤيتها.. طاقة الكهرباء لا يمكن رؤيتها... (الله) لا يمكن رؤيته.

اسعد: إذا كان شيء لا يمكن رؤيته، فكيف نعرف وجوده؟

منير: نعرف وجوده بآثاره.

أسعد: مثل لي يا (منير).

منير: نعم:

١ ــ العقل ــ يعرف بآثاره:

الحركات، الأكل، الكلام، الشرب، وما الى ذلك.

فإن كانت حركات الشخص تامة، كلامه، موزوناً، أكله وشربه حسب المتعارف، عرفنا: كونه عاقلاً. وإن كان بعكس ذلك، عرفنا بأنه مجنون.

٢ ــ الروح ــ تعرف بآثارها:

السمع، البصر، الحس، وما إلى ذلك.

فان كان يسمع، ويبصر، ويحس، عرفنا أن فيه روحاً، وإذا كان بعكس ذلك، عرفنا انه ليس فيه روح.

٣ ــ طاقة الكهرباء ــ تعرف بآثارها:

الإضاءة، تحريك المراوح، إهلاك ذي الروح أو دفعه، وما الى ذلك.

فان كانت (المصابيح) تضيء، والمراوح تشتغل. وكان في الأسلاك جذب ودفع، عرفنا أن فيها الطاقة (كهربائية)، وان كان بعكس ذلك عرفنا عدمه.

٤ ــ (الله) لا يمكن رؤيته، لكن يعرف بآثاره:

الخلق، الإيجاد، الإحياء، الإماتة.. وما إلى ذلك....

أسعد: من أين تقول: إن (الله) لا يمكن رؤيته؟

منير: لأن كل مرئي فهو في المكان: الإنسان، مرئي ــ لأنه في المكان. الحيوان، مرئي ــ لأنه في المكان. وما إلى ذلك...

لكن (الله) ليس في المكان، فلا يمكن رؤيته.

عوارض الجسم

.... ألقى بنفسه على الفراش.

يتنفس بأنفاس عميقة.

فريد: أرى حالتك متغيرة. لماذا؟.

سعدون: يشير بإصبعه نحو أنفه: أي أسكت.

فريد: يا (يوسف): عجيب أمر (سعدون)!!

انظر إليه... انظر إلى حاله.

سعدون: دهاني اليوم أمر عجيب!. خرجت من الحديقة ــ قبل طلوع الشمس ــ قاصداً نحو الدار، بصرت من بعيد بشبح، إنسان هو أم حيوان؟

إنسان، إنسان، أخذت أمشي انا نحو المدينة، وهو نحو البر.

فإذا بي أمام حيوان مهيب، مهيب!! نظرت إليه بإمعان، ليس إلا النمر. ما عهدت نمراً في هـــذه الفلات. ما عهدت او ما عهدب. هو نمر بعينه، لا مخلص منه ولا مفر.

أنا في فكر، هو في فكر(شتان بين فكري ـــ وفكره)...

ما مضى وقت إلا ووثب نحوي... كاد قلبي أن يطير من الدهشة أخذ يدق: طق، طـــق، طـــق، طق...

استسلمت للمنية، وإذ يخترق سمعيي ـــ طى ـــ رنة الطلقة...

ما أحسست إلا والنمر يتمرغ بدمه و(الحمد لله). واروحاه..!.

من بعيد أرى فارساً، كأنه رآني، ورأى النمر الواثب نحوي.

أطلق طلقته الثمينة (ثمنها حياة شخص).

هذا التعب الذي تراه من ذلك.

فريد: حقك، وأكثر من هذا ـــ وأكثر... لكن بما أنك رجل فيلسوف ـــ..

سعدون: حسن ظنك (فريد).

فريد: لا، أقولها عن اعتقاد، لا مجاملةً: بما أنك فيلسوف أحب أن أسألك عن مسألة؟

سعدون: تفضل.

فريد: ما هو التعب الذي يعرض على الإنسان في أحوال خاصة؟

سعدون: التعب، كسائر الأمور العارضة على الإنسان: النوم، اليقظة. النشاط، الكسالة. الفرح، الحزن. الرضى، الغضب. وما إلى ذلك.. إنها كلها ودائع، جعلها (الله) في الانسان. تعرضه في أحوال خاصة.

لكن (الله) مبرأ عن هذه الأحوال.

فريد: أليس (الله) كأحدنا، تعرضه هذه الأحوال؟

سعدون: لا، ليس تعرض (الله) هذه الأحوال. ليس (الله) نوم، ولا كسالة، ولا نشاط، ولا فرح، ولا حزن، ولا...

فريد: ولماذا لا تعرضه؟

سعدون: لأن هذه أحوال تعرض (الجسم) و(الله) ليس بجسم.

فريد: أشكرك.

الشريك

... فإذاً، الموعد غداً صباحاً، الساعة الثامنة.

الرئيس: اعذروني، فإني تأخرت عن الموعد قليلاً.

وزير الشؤون: ظننا أنك لا تريد الحضور.

وزير الداخلية: لا يفوتنا الوقت، فليتكلم كل بما يرتئيه.

وزير المعارف: أرى أن يبدي (الرئيس) رأيه، ثم يظهر كل واحد منا ما نراه.

الرئيس: يطرق مدة.... لا، ليقول، كل واحد منكم.

الشؤون: إني أرى: أنه لابد لهذه الدولة من (رئيسي جمهورية). لأنه لا يكف رئيس واحد.

الجمهورية كبيرة، رئيس الجمهورية ضعيف النفوذ.

المعارف: نعم، وإني أوافقك على هذا الرأي.

فاللازم تقسيم الجمهورية جنوبية وشمالية الجنوبية المحتوية على عشرين (مليوناً) لرئيس الجمهورية الحالي والجبهة الشمالية لرئيس آخر جديد ننتخبه بأكثرية الآراء.

الداخلية: من رئيس الجمهورية الذي تريدون تعيينه؟

الزراعة: عفواً، نظري أنه لا نحتاج إلى رجل جديد.

رئيس الجمهورية ضعيف، نعم، لكن لو أعناه في إدارة المملكة أغنانا عن الرجل الجديد.

الزراعة: ليتفضل (الرئيس) برأيه.

الرئيس: رأيي أنه لا يصلح أن يكون رئيسا لجمهورية في دولة واحدة فلا ينفعنا ذلك بل يضرنا ـــ كما لا يمكن وجود إلهين في العالم.

الشؤون: لماذا؟

الرئيس: يرى أحدهما رأياً، ويرى الثاني خلاف هذا الرأي. فيقع النزاع والمخاصمة، وينجر الأمر بالآخرة إلى الحرب، فتختل أمور الدولة. مثلاً:

هذا يرى من الصلاح (المعاهدة) مع الدول المجاورة، وذلك يرى الصلاح في عدم (هذه المعاهدة). فإن لم يعمل أحدهما بنظره، احتراماً لنظر الآخر، فهو ضعيف تابع، وإن عمل كل واحد منهما بنظره، انتهى الأمر إلى الحرب وهلاك الشعب، وفساد الدولة.

هكذا يقولون بالنسبة إلى تعدد (الإله) في العالم. مثلاً:

هذا يرى إنزال المطر في هذا اليوم، وذاك يريد (عدم الأمطار). فإن رفض أحدهما رأي نفسه، احتراماً لرأي (الإله الآخر) كان ضعيفاً تابعاً (والإله ليس بضعيف) وإن أصر كل منهما على رأيه، أنجر الحال إلى النزاع.

يقول أحد الفلاسفة (الظرفاء): ينتقم كل تابعي الإله الآخر فيدمر شعبه وعباده (فيصبح العالم في قلق وفساد).

وحيث نرى: إن العالم ليس بفاسد، لنعلم علماً يقيناً أنه ليس فيه (إلهان).

إذاً (الله) واحد: لا شريك له.

الوزراء: جميعاً صوبوا رأي (الرئيس) ورجعوا عن رأيهم الأول فقاموا من المجلس شاكرين له.
وقد انحلت لهم (مسألة فلسفية): إن (الله) ليس له شريك.

الجسم

فهمي: ابني (سلام) طالع (القسم الثاني من كتاب كيف عرفت الله)؟.
سلام: نعم، سيدي الوالد.
فهمي: ابني، تتمكن من أن توجزه لي.
سلام: نعم، يرجع حاصله إلى الأمور (خمسة):
الأول: إن (الله) ليس له أجزاء: ليس بمركب.
الثاني: إن (الله) ليس بجسم.
الثالث: إن (الله) لا يمكن رؤيته.
الرابع: إن (الله) لا يكون (معرضاً للحوادث): الصحة، المرض، النوم، واليقظة. الفرح. والحزن. وما إلى ذلك...
الخامس: إن (الله) ليس له شريك، بل إله جميع العالم.

الصفة والذات

السيد السفيه: اليوم عندنا مولود.
العبد الفطن: ــ مبارك ــ إن شاء الله تعالى.
السيد: أريد أن تدعو عشرة أشخاص، من أصدقائي ظهراً لصرف الطعام.
العبد: نعم، سيدي. عين لي الأشخاص. لأن أدعوهم، الآن.
السيد: هذه قائمة أسمائهم. سجّل.
١ ــ أحمد.
٢ ــ ابن باقر.
٣ ــ عالم الحي.
٤ ــ أبو سهامة.
٥ ــ صديقي الذي كان معي في الأمس.
٦ ــ أخو (عبدون).

٧ ــ زوج (سليمة).

٨ ــ صديقي الذي سافرت معه في العام الماضي إلى (أمريكا).

٩ ــ خال (سعيد).

١٠ ــ عم (داوود).

العبد: قه. قه. قه....

السيد: غاضباً. لماذا تضحك يا أحمق؟...

العبد: سيدي أنا لست بأحمق.

السيد: لو لم تكن أحمق، ما كنت تضحك، في غير محله.

العبد: سيدي، ضحكت، لأنك تقول: تريد أن تدعو عشرة أشخاص ثم تعد أسماء عشرة كلها لشخص واحد: ــ

ــ أحمد ولى، هو ابن باقر، وهو عالم المحلة... إلى آخر الأسماء.

السيد: يا سفيه، كل اسم يدل على شخص اسأل العقلاء.

العبد: لا يا مولاي، لا... الاسم على قسمين: ــ

الأول: أن يدل على شخص. مثلاً:

سعد: رجل، (سعدون) رجل آخر ــــ (محمود) رجل ثالث.. وما إلى ذلك...

الثاني: أن تكون عدة أسماء تدل على شخص واحد ــ لكن باعتبارات مختلفة. مثلاً: ــــ

ــ (أحمد ولى) اسم رجل، وباعتبار أن اسم والده (باقر) يقال له (إبن باقر). وباعتبار أنه رجل دين يمارس عمله في المنطقة العلم يقال له: (عالم الحي)... وما إلى ذلك.

العبد: الآن اضرب لك مثلاً: ــ العلماء يقولون: (الله) شيء واحد. لكن (باعتبارات مختلفة) يسمى بأسماء: ــ

العالم: باعتبار أنه يعلم الأشياء.

القادر: باعتبار أنه يقدر على الأشياء.

الخالق: باعتبار أنه يخلق الأشياء.

... وما إلى ذلك...

فليس (علمه) شيء، و(ذاته) شيء آخر.

وليس (قدرته) شيء، و(ذاته) شيء آخر.

... بل هو (ذات) و(علم) و(قدرة)...

وما إلى ذلك.

السيد عجيب!!! فهذا معنى قول (العلماء):

ليس (الله) (معاني)، يريدون ما قلت. كثيراً ما كنت أسمع:

(ليس الله معاني) ولا أفهم معناه.

أحسنت عبدي، أحسنت....

الغنى

... يتشاورون بينهم، يزعمون أنه فقير.

نوري: ما رأيك يا (طالب)؟

طالب: هو رجل فقير، أرى أن نجمع له (كمية) من المال.

صادق: كيف يجمعون؟

طالب: يعطي كل واحد منا، (خمسين ديناراً) نحن عشرة فهذه خمسمائة. أظن: يكفيه ذلك، لهذا العام.

حسن: لا، لا نصنع هذا. لعله لا يرضى بذلك.

سهاد: الأحسن أن نسأله عن أحواله. نعرف أولاً أنه فقير. ـــ كما تقولون ـــ بعد ذلك نرى رأينا ورأيه في جمع (التبرعات).

البقية: نعم الرأي رأي (سهاد) نحن موافقون.

سهاد: من الذي مطلع عن أحواله؟

عادل: (أبو راشد). فلنذهب إليه...

حسن: سلام عليكم (أبو راشد) كيف الصحة؟

أبو راشد: عليكم السلام، (الحمد لله) صحتي جيدة.

حسن: هل أنت مطلع عن أحوال (.....)؟

أبو راشد: نعم. هو رجل ثري.

حسن: عجيب! من أين! لا نرى له ثروة؟!

أبو راشد: هو أصل الثروة، له أملاك، له عقار، له دور، له قصور، له تجارة، له....

بالكلمة الجامعة ـــ: غناه نحوه (غنى الله) الذي هو فوق كل غني.

نوري: المشكلة صارت اثنتان: ما معنى (غنى الله)؟. وكيف يكون الله غنياً. من فضلك فسر لي؟

أبو راشد: اعلم، يا (أخي: نوري): أغنى الأغنياء. لا يحتاج أصلاً. يفعل الأشياء (بإرادته) إذا قال لشيء: (كن. يكون) فورا. لا يحتاج إلى شيء من الأشياء. ولا إلى شخص من الاشخاص. فإن الاحتياج نقص، و(الله) منزه عن النقص. (الله) خزائن السموات والأرض:

١ ــ الشمس، من خزائن الله، فإنها تربي (النبات) و(الإنسان) و(الحيوان) و(المعادن) و...

٢ ــ الأرض كذلك تربي (النبات) فإنه ينمو في الأرض(الإنسان) و(الحيوان) فإنهما يعيشان عليها و...

٣ ــ الهواء، كذلك فإنه لو لم يكن لعفنت الأشياء واختنق (الإنسان) و(الحيوان) و... إلى غير ذلك...

.. بل، أقول: هؤلاء الذين يقول عنهم الناس: أغنياء ليسوا بأغنياء فإن الرجل الغني لا يملك.. صحة نفسه ولا صحة عائلته... ولا حياة نفسه ولا حياة عائلته... بل أموره جميعها بإرادة (الله).

ــ نعم، له شيء واحد هو كمية من الدراهم والدنانير، والأملاك فقط.

... وبهذا الاعتبار يسميه الناس: غنياً.

الخلاصة

نزار: أختي (باسمة) قرأت كتاب (كيف عرفت ــ الله ــ)؟

باسمة: نعم، قرأته من أوله إلى آخره، لكن أريد أن أسألك؟

نزار: سلي يا (باسمة).

باسمة: رأيت أنه جاء المؤلف في الكتاب بأسلوب (جديد) ما له سابقه بالنسبة إلى الكتب (الدينية): أسلوب قصصي.

نزار: نعم. هذا الأسلوب أقرب إلى إفهام الشبيبة. فإن الأمثال والقصص، تثير العواطف، وتجلب الخاطر فتقع الحكمة، والعلم، موقع التركيز كما تقع البذرة في التربة الصالحة، فتنمو وتثمر الثمر الشهي، وهذا أسلوب اتخذه ــ العلامة البلاغي ــ في كتابه (الرحلة) تقريباً. فتهافت القراء عليه.

نزار: هل تتمكنين يا (باسمة) أن تتذكري لي خلاصة (القسم الثاني)؟

باسمة: نعم، يرجع هذا القسم إلى أمور سبعة):

١ ــ إن (الله) ليس بذي أجزاء ليس بمركب من جزأين، أو أكثر.

٢ ــ إن (الله) ليس بجسم، وليس له مكان.

٣ ــ إن (الله) لا يمكن رؤيته.

٤ ــ إن (الله). لا تعرض عليه ما تعرض على الناس والحيوان: الصحة والمرض، النوم واليقظة.. وما إلى ذلك.

٥ ــ إن (الله) ليس له شريك، بل هو (واحد).

٦ ــ إن (الله) صفاته عين ذاته: فذاته علم وقدرة و...، العلم والقدر و... كلها عين ذاته.

٧ ــ إن (الله) غني: لا يحتاج إلى أحد، لا يحتاج إلى شيء.

الفصل الثاني العدل

ما معنى، الفاتح لما استقبل

... حالاً، معك، الآن، قليلاً.

عادل: لا تبطئ يا أخي يا (فائز).

فائز: الآن، الآن،.... ألبس ملابسي.

أخذا يمشيان نحو (المنتزه) يستنشقان من الهواء الطيب. وا روحاه ما أطيب الهواء.

عادل: أرى من بعيد كأنه (حديقة) وأنت ترى يا (فائز)؟

فائز: نعم إنّي أرى.

عادل: عجيب!! ما عهدت هاهنا حديقة. إني ما خرجت إلى هذا الطرف منذ ثلاث سنين.

فائز: نمشي حتى نقترب إليها...

... فإذا بحديقة جميلة، أتدخلها يا (عادل)؟

عادل: نعم جئنا للتنزه، فهي غايتنا.

دخلا الحديقة. فإذا هي (جنة) فلما نظر الناظر إلى مثلها. أنهار جارية. بلابل على الأغصان مغردة. أشجار مثمرة، بألوان الثمر. زهور جميلة عطرة.

فائز: ما أجمل هذه الحديقة. وأحسن منظرها. وأهى أرجائها أنهار ممتدة من الجوانب، حافتاها الرخام الأبيض الجميل. أشجار وأنهار بجانبي الشطوط. سواقي ممتدة من الشط إلى الصهريج المتوسط في الحديقة.

هي ليست حديقة. جنة عالية، قطفها دان.

نمشي يا أخي (عادل) لنتمتع من الحياة، وننظر إلى سمر الجمال فنحن ــ اليوم ــ في التذاذ بجميع الحواس:

العين ــ بالنظر إلى جمال الطبيعة، ووشى الربيع السائد...

السمع ــ بألحان البلابل، وصدح الشحرور..

الأنف ــ باستنشاق الهواء العطر...

اللسان ــ بذكر (الخالق) العطوف البر الكريم، شاكرين له نعمه وإحسانه ومننه..

عادل: كأني أرى في أواخر الحديقة (قصر) هل انت ترى؟

فائز: نعم، أنا أرى ذلك. لمن هو؟

عادل: لا أدري.

فائز: نذهب إليه...

ـــ أخذا يمشيان إلى أن انتهيا إلى باب فخم مزخرف بالنقوش الجميلة.

فائز: أندخل القصر؟

عادل: نعم، لا أرى في ذلك من حرج فإنه لو كان الدخول ممنوعاً أغلق الباب دون الزائرين.

ـــ دخلا، فإذا: قصر، وما أدراك ما القصر؟!

غرف مبنية، من فوقها غرف. بترتيب هندسي، وأسلوب حديث، وأساس رصين. وأشكال جذابة...

ـــ وفي الغرف، الفرش الجميلة والثمينة، منقوشة بألوان النقوش الظريفة... سائر لوازم الرفاهية، والسعادة.

كل وسائل الرفاه والمتعة... بأنواعها، وما إلى ذلك....

عادل: أرى أن من بنى هذه (الحديقة) وهذا (القصر) وهذه (اللوازم) من أكبر رجال العالم علماً، وهندسة، وحكمة، وعدالة، وذوقاً، وفكراً، وقدرة!!

ألا ترى كيف وضع الأشياء مواضعها، وبنى القصر، ورتّب الحديقة، و...؟

فائز: لا، لا، إنك مخطىء يا (عادل) ما الدليل على علم الباني؟! ما الدليل على قدرته؟! من الذي أثبت لك فكره وقدرته؟!هل رأيت ذلك المهندس؟ هل...؟.

فائز: لا، لا، أنا أقبل من لم أره، ما رأيت المهندس الباني فلا أقبل وجوده، ولا أقبل صفاته التي تذكرها.

التفحص عن السبب ـــ الآن ـــ...

فائز: تعال، يا عادل، عجل عجل، وجدت السبب.

عادل: يركض مندهشاً ـــ ما هو السبب؟!

فائز: خذ هذه النظارة، انظر إلى سفح هذا الجبل الواقع قريب (ست كيلومترات) من الحديقة.

عادل: انظر ما هو؟!

فائز: ترى هذه الأحجار، وتلك العين، وبعض الأعشاب؟

عادل: نعم، أرى، ثم ماذا؟!!

فائز: هذا هو السبب لهذه الحديقة، وهذا القصر.

عادل: كيف ذاك؟!!

فائز: هبت الرياح فنقلت جملة من تلك الأحجار ـــ في سنين متطاولة ـــ إلى هذا المحل، ثم مضت سنين، فبعوامل الشمس والريح و... من سائر العوامل الطبيعية، رتبت هذه الاحجار بشكل القصر، وسياج الحديقة ـــ لا تستغرب فإن ذلك هو السبب في هذا القصر ـــ ثم مرت أزمنة متطاولة

فهبت الرياح وجاءت بالأعشاب من هناك إلى (هذه الحديقة). فكبرت وصارت أشجاراً، ـــ كما ترى ـــ بعد ذلك هبت عاصفة شديدة أقلعت قسماً كبيراً من الأشجار الضخمة، وجعلتها في صورة الأبواب، ونصبتها على محل أبواب القصر والغرف. وكذلك بقية الأشياء.

قال فائز: نعم، مر قطيع ـــ من الغنم ـــ فجاءت الرياح ببعض صوفها ونسجتها ـــ بمرور الزمان: فرشاً، لا تستغرب: لا يبعد ذلك عن الطبيعة (بمرور الزمن)...

عادل: يضحك، يفكر في عقل فائز. ينظر إليه متعجباً مدة!!

عجيب أمرك يا (فائز)! بكل جدية تقول؟ عن كل اعتقادك؟ لو كان عن كل اعتقادك! لا مجال للكلام معك...

فائز عفواً يا (عادل) انتبهت ـــ الآن ـــ لا تخبر بكلامي أحداً أرجوك، أرجوك. إني كنت أجالس جماعة ـــ من الماديين ـــ يقولون في جميع العالم مثل هذه المقالة. أنا جريت في تعليلاتي ـــ طبق مقالتهم في العالم ـــ لكن الآن ـــ رجعت، الحق معك.

تبين أن اعتقادي في العالم كان خطأ.

الآن اعترفت بأن للعالم صانعاً، قديراً، عليماً...

لكن بقي لي (كلمة)؟

عادل: اسأل.

فائز: أسألك في اليوم الآتي فقد أظلم الليل، وتعبنا في سيرنا اليوم.

عادل: رأيك (في أمان الله).

فائز: (في أمان الله).

عدالة الله

فائز: تسمح لي أن أقول: (كلمتي)؟

عادل: تفضل.

فائز: أريد أن أتكلم في العدالة.

عادل: إذاً، أرى أن نذهب إلى (الأستاذ ماجد) لأنه أقدر مني في العلم.

فائز: نذهب...

عادل: أستاذ (ماجد) سلام عليكم.

ماجد: عليكم السلام خيراً؟

عادل: صديقي (فائز) يريد أن يسألك عن (العدالة) أتسمح له بذلك؟

ماجد: فهمت ما يريد. إنه سبق أن سأل بعض أصدقائي.

فائز: نعرف أن (الله) عادل؟

ماجد: اضرب لك مثلاً:

كان تاجر يقال له: (أسعد) له ولدان (سامي) و(قيس) فزوج كل واحد منهما بزوجة. واشترى لكل واحد منهما داراً ولوازم الدار، سامي كان يظن أن والده لا يعدل بين (قيس) وبينه. كلم أباه يوماً ـــ في هذا الخصوص ـــ. فقال له (والده) : لا، يا ابني، أنت متوهم. قل لي: لماذا لا أعدل؟ فإنه لا تتوفر لدي أسباب عدم العدالة.

سامي: هل لعدم العدالة أسباب؟

التاجر: سبب عدم العدالة أحد أمور:

١ ـــ الخبث: كثيراً ما نرى شخصاً خبيثاً، يظلم الناس بلا سبب يرى منه غير لؤمه وخبثه.

٢ ـــ الإحتياج: فإن المحتاج إذا لم يتمكن من الوصول إلى حاجته بالطرق المستقيمة. احتال للوصول إليها ـــ بالطرق الملتوية ـــ مثلاً:

السارق ـــ يريد (المعيشة) إذا لم يتمكن منها اضطر إلى (السرقة).

الوضيع ـــ إذا كان فيه (حب الظهور) و لم يتمكن منه لأنه وضيع ـــ احتال لتحصيل (المنصب).

وما إلى ذلك...

٣ ـــ الحب: الميول النفسية مثلاً:

الرجل ـــ يحب (إحدى زوجتيه) أكثر من (الأخرى) فيقوم بواجب (الأولى) أكثر من قيامه بواجب (الثانية).

المعلم: يحب (أحد تلاميذه) أكثر من (البقية) يبذل له من العناية والإهتمام، ما لا يبذله للآخرين.

وما إلى ذلك...

سامي: عرفت أسباب عدم العدالة.

التاجر: إذاً، أقول: لا توجد لدي إحدى هذه الأسباب. حتى لا أعدل بينكما: (سامي وقيس).

ماجد: فهمت يا فائز هذا المثل؟

فائز: نعم، فهمت لكن كلامي كان في أمر آخر: كيف نعرف أن (الله ـــ عادل)؟

ماجد: ضربت المثل لهذه الغاية.

إن (الله) ليس فيه أحد أسباب عدم العدالة، كي يظلم.

والله إله كريم.

١ ـــ الخبث: فإنه من صفات (البشر ـــ اللئيم).

٢ ـــ الاحتياج: فإن الله ليس محتاجاً، فإن جميع الكائنات (بإرادته) و(قدرته).

(هو) أرفع من الجميع، فلا يحتاج إلى (منصب).

(هو) أغنى من الجميع، فلا يحتاج إلى (ثروة).

وما إلى ذلك...

٣ ــ الحب، فإن (الله) ليس يحب شيئاً أكثر من شيء. ولا شخصاً أكثر من شخص.

... نعم يحب الشخص الذي يعمل بوظيفته. وعنايته بالنسبة (إليه) أكثر من غيره لكن ذلك ليس ظلماً في حق غيره.

ماجد: هل فهمت ما قلت؟ وعرفت وجه كون (الله ــ عادلاً)، وما السبب في ذلك؟

فائز: نعم، فهمت، وعرفت السبب. أشكرك (أستاذ).

ما هي العدالة؟

لا، لا، لابد أن اعدل.

ضياء: هذه ليست بالعدالة، وإنما العدالة في ضدها.

فاضل: هذه العدالة أنت لا تدرك.

ضياء: أنت مختار، اصنع ما شئت.

فاضل: ابني (شفاء) تعال.

شفاء: نعم، ماذا تريد؟

فاضل: وزع (كيس الشعير) على الحيوانات الموجودة عندنا بالسوية.

شفاء: أمرك، ثم أخذ يوزع.

الببغاء ــ نصف كيلو.

الفرس ــ نصف كيلو.

الغزال ــ نصف كيلو.

السمكة الملونة في ــ الحوض ــ نصف كيلو. وما الى ذلك...

ضياء: ما صنعت أمس يا (فاضل)؟

فاضل: مثل ما قلت لك. وزعت الكيس بالتساوي.

ضياء: اذاً قم، نرى العاقبة.

قاما ــ ابتداءاً من (الببغاء) فاذا هو (ميت) في (القفص)!!

الفرس ــ ملقى على الأرض. من الضعف. يمعمع من وجع البطن!!

السمكة طافية على الماء!!

فاضل: عجيب جداً!!! ماذا جرى لهذه الحيوانات؟!

ضياء: من جراء ما فعلت.

فاضل: أليس ما فعلت هي (العدالة). وهي محبوبة عند الجميع؟! أما ما فعلت فليست هي العدالة.

فاضل: فما معنى العدالة؟ فسر لي.

ضياء: العدالة: القيام بواجب الأشياء حسب اختلاف شؤونها فالعدالة بالنسبة إلى (الببغاء) اطعامه (البذور)...

وبالنسبة إلى (الفرس) (عشر كيلوات من الشعير)...

وبالنسبة إلى (الغزال) (العشب)...

وبالنسبة إلى (السمكة) (الخبز)...

وما إلى ذلك...

... ولذا مع أن (الله) عادل جعل لهذه (الفاكهة) لونا. ولتلك (الفاكهة) لونا آخر. لهذا (الحيوان) طعاماً. ولذلك (الحيوان) طعاماً آخر. في موضع من الأرض (المعدن)، وفي موضع آخر (عين الماء). وما إلى ذلك...

... مع أنه كان يمكنه أن يجعل (الفواكه) كلها بشكل واحد وطعم واحد، و...و أن يجعل لجميع (الحيوانات) طعاماً واحداً، و... وأن يجعل في جميع (مواضع الأرض) شيئاً واحداً، و... وما الى ذلك...

فاضل: أشكرك (جداً) فأني كنت غافلاً عن هذا المعنى. أظن أنني صنعت بخلاف العدالة.

الظلم والعدالة

... هل ترون فيها نقصاً؟

المدير: لا، لا نقص فيها (سيادة المتصرف).

المتصرف: هذا رأيك يا أستاذ (حسون)؟

حسون: المدير جمع في داره العامرة كمية من الكتب، ولهذا لا يحتاج إلى كتاب حتى يحس بنقص المدرسة ــ من هذه الناحية ــ وقديماً قالوا: الراكب غير مطلع على حال الراجل.

... أما نحن (المعلمين) فنحتاج الى مطالعة الكتب. فالنقص الوحيد في (المدرسة) فقدانها للمكتبة.

المتصرف: نظرية مقدرة، نعم تحتاج المدرسة، تحتاج، فالمدير يقوم بهذا الواجب. والمصرف من (الرصيد) الذي عينه (وزير المعارف) لهذا اللواء.

المدير: يعين المعلمون الكتب التي تحتاجها المكتبة.

... ثم أمر باشترائها، وعين غرفة للمكتبة..

... وأرجوك يا (صبري) ترتيب الكتب، مثل ترتيب الكتب في (المكتبة العامة).

قام (صبري) بالترتيب، بأحسن نظام، ووضع الفهارس:

١ ــ على ترتيب العلوم: اللغة ــ الصرف ــ النحو ــ وهكذا...

٢ ــ على ترتيب الحروف: الألف ــ الباء ــ التاء وهكذا...

٣ ــ على ترتيب اللغات: العربية ــ الألمانية ــ الإنكليزية وهكذا.

٤ ــ على ترتيب المؤلفين: ابن سينا ــ نصير الدين ــ المفيد ــ وهكذا...

المدير: أحسنت يا (صبري). ما في (المحفظة الفوقانية)؟. وما (في المحفظة التحتانية).

صبري: الكتب الثمينة، والمخطوطة في الفوقانية. الكتب العادية في التحتانية.

المدير: لا أخطأت كلها كتب، لا فرق بينها. لماذا التخصيص؟

صبري: إذا فقد الكتاب الثمين، أو المخطوط، كان التعويض عنه عسرا. لهذا جعلناه في مكان بعيد عن التناول والضياع. لكن الكتاب العادي لا يشكل التعويض عنه ــ في حال الفقدان ــ لهذا جعلناه في مكان بعيد عن التناول والضياع. لكن الكتاب العادي لا يشكل التعوض عنه ــ في حال الفقدان ــ لهذا جعلناه قريباً عن التناول. وكذلك يفعل العقلاء: يحترمون. (النادر الثمين) اكثر من احترام (الشائع العادي). لذا ترى يحترمون العالم. المهندس الدكتور... أكثر من احترام الجاهل. وهذا ليس ــ خلاف العدالة ــ بل عين العدالة. وخلافه ظلم. وكذلك (الله) أمر باحترام (العالم) وفضله على الجاهل.

المدير: صحيح ما قلت. لكن ذكرت شيئاً (من كلمتك الأخيرة).

صبري: ما هي ــ سيادة المدير ــــ؟

المدير: إن مقتضى العدل ــ كما قلت ــ تفضيل العالم على الجاهل، وكذلك أمر (الله). ولكن هل من العدل تفضيل (الغني) عن (الفقير)؟ لماذا فضل (الله) الثري، وخصه بهذه الأموال الطائلة، و لم يبال بالفقير و لم يجعل له من تلك الأموال شيئاً؟

أليس من العدل التساوي بينهما؟

صبري: العدالة والحكمة شقيقتان:

العدالة: تقتضي رعاية الفقير، حتى لا يكابد المصائب. وأن يكون له سهم في أموال الأغنياء.

وكذلك جعل (الله):

جعل الزكاة ــ للفقراء

والخمس ــ للفقراء

والصدقة ـــ للفقراء

والفطرة ـــ للفقراء

وبعد ذلك، رغب في (الإنفاق) و(الضيافة) و(المواساة) و..

الحكمة: تقتضي كون بعض الناس (أغنياء) يصرفون أوقاتهم في حراسة الأموال وحسابها و...

وبعض الناس (فقراء) يزرعون، ويبنون، ويخدمون، ويقومون بسائر الواجبات الاجتماعية.

فلو كان كل الناس (أغنياء) من يزرع؟ من ينظف؟ من؟ من؟ ولو كان كلهم فقـــراء،... مـــن يجلب الأمتعة، من يشتري ويبيع؟ من؟ من؟

اذاً (فالعدالة والحكمة) تفرضان: وجود (الأغنياء) و(الفقراء) هؤلاء لأمر وهؤلاء لأمر.

لكن مع مراعاة(حدود) و(أنظمة) لا يظلم الغني، ولا يشقى الفقير.

المدير: أشكرك يا(صبري) على ذهنك المتنور، وقريحتك الصافية.

المصلحة

... آه ما أوجع هذا (الخراج)؟!

زهراء: ابنتي (سميرة) أي (خراج)؟

سميرة: يا سيدتي، (خراج) في رجلي ـــ منذ أيام ـــ اشتد ألمه الليلة.

زهراء: يا زوجي (سالم) ما العلاج؟ ما تنام ابنتي من (الألم)

سالم: غداً نراجع (الدكتور) ـــ إن شاء الله ـــ.

سالم: دكتور (سلام عليكم).

الدكتور: عليكم السلام، خيراً؟

سالم: هذه (ابنتي سميرة) ظهر (خراج) في رجلها.

الدكتور: بعد فحص الخراج (سميرة) ابنتي، لا بد من العملية.

سميرة: لا، أخاف.

دكتور: لا تخافي، بسيطة جداً، دقيقة واحدة (أن شاء الله).

زهراء: دكتور مخطور أم لا؟

الدكتور: لا، لا، ليس بمخطور. الآن أجري العملية. أخذ (المبضع) شق الجرح ـــ سريعاً ـــ.

سميرة : آخ، آخ، لا، لا، لا.

الدكتور: لا، (ابنتي) الآن تصحين.

سالم: ما هو السبب في هذه العملية، يا (دكتور) آلمت ابنتي العزيزة؟

الدكتور: هذا الألم كان لمصلحة نفسها. وإلا أنا ما كنت أحتـــاج إلى تأليمهـــا؟، ولا نفـــع لي بذلك.

وكذلك جميع آلام الحياة، فإنها لمصلحة الناس:

١ ــ أما لمصلحة سائر الناس: كما تقطع يد (السارق) ويحبس (مانع الحق) ويضرب (من يسب شخصاً).

٢ ــ وأما لمصلحة نفس هذا الرجل: كما يمرض الشخص، ليتنبه يرجع إلى (الله) ويقلع عن غيه. فإن الألم كثيراً يكون سبباً لذلك. أو كما يصيبه كارثة، فتطهر قلبه عن الكدورات، فتظهر نفسه عن الذمائم كانصهار (التبر) المخلوط بالتراب، الذي يعود النفع بالنتيجة اليه.

النتيجة

إذاً ــ اتضح إلى هنا: أمور أربعة:

١ ــ العالم دليل على وجود (إله) حكيم عليم قدير ــ عادل ــ.

٢ ــ إن (الله) عادل: لا يظلم. وما هي أسباب الظلم؟

٣ ــ معنى (العدالة)، وإن الاختلاف في الطبائع... ليس من الظلم.

٤ ــ الاختلاف بين الطبقات في (الغنى) و(الفقر) ليس من الظلم.

الفصل الثالث : النبوة

المرشد

بسم الله الرحمن الرحيم: (هو الذي بعث في الأميين، رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويـــزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

... هل تذهب أنت إليهم؟

جمال: حسب أوامرك. أتأذن لي أن أسأل: لماذا تأمرني بهذا الأمر؟

محمود: إنهم أناس برابرة، يحتاجون إلى التهذيب، وفيهم طاقات كثيرة، لكنها تهمـــل، بســـبب الفوضى السائدة عليهم، هذا يضرب ذاك وذلك يقتل هذا فأحدهم يسرق، والآخر ينـــهب، وغـــيره يظلم..

جمال: ففيم ترسلني اليهم؟

محمود: تبين لهم القيم الانسانية، وترشدهم الى الحق، وتنير لهم طرق الحياة الحالكة.

جمال: لماذا لا تدعهم على حالهم؟

محمود: إن ذلك خلاف العدالة، ومناف للشرافة، أهل يرضى ضميرك: أن يظلـــم أحـــداً، ثم لا تنصر المظلوم؟

جمال: كلا!لا أرضى بذلك أبداً!

محمود: ولهذا السبب نفسه أبعثك اليهم حاكماً، حتى تصلح شؤونهم وهذا هو فلســـفة أن (الله) تعالى يبعث المصلحين الذين يسمون بـــ(الأنبياء) إلى البشر، فالانسان ـــ حسب شهواته ـــ همجـــي ظالم مستهتر، ولا يمكن في عدل (الله) أن ينذرهم على هذه الحالة.

جمال: صحيح ما تقول، ولكن من الممكن: أن ينذر الله الناس بلا نبي اعتمـــاداً علـــى الحـــاكم والملوك، والفلاسفة والعلماء، فإنهم يضمنون صلاح البلاد، وبهم يسود الأمن.

محمود: أتقول ذلك بكل اعتقادك؟

جمال: نعم: بكل اعتقادي!

محمود: عجيب من ثقافتك، تتكلم بهذا الكلام؟!

جمال: كيف ذلك؟

محمود: ألا ترى: إن كل الحروب والويلات تجرها الملوك والحكام؟ ليسوا الملوك والحكام الا لنفع المستغلين والظالمين، وقليل من الحكام ليسوا كذلك، فهؤلاء لا يتمكنون من تطبيق العدالة أصلاً، ولو

حسبنا ضحايا البربرية في العصور المظلمة، وحسبنا ضحايا الملوك والساسة، لم تكن نسبة الأولى الى الثانية، الا لنسبة الواحد الى الألف.

محمود: وهناك أمر آخر: وهو أن الملوك والساسة إنما يحملون الظواهر، أما الأخلاق والقيم الروحية فلا.

جمال: كيف هذا، وما الدليل على ذلك؟

محمود: الدليل واضح بمراجعة القوانين البرلمانية، فإنها لم تجعل قانوناً للصدق، ولا للعدالة، ولا للأمانة، ولا للكفاح، ولا. ولا. إلا ما شذ ــ وهذا بخلاف (الدين) الذي يأتي به النبي، فإنه بضع بجانب القوانين الاجتماعية، والقوانين النفسية والأخلاقية.

البعثة

... هل بعثت إليهم (جمال) يا (محمود)؟

محمود: نعم بعثته إليهم، وماذا تريد بهذا السؤال يا (صلاح)؟

صلاح: اهتد من هذا السؤال: انه ما السبب في تخصيصك (جمال) بالارسال اليهم؟ ولماذا لا تبعث (زيداً) فإنه أكثر مالاً من (جمال)؟.

محمود: معلوم لديك يا (صلاح) إن إرشاد الناس وهدايتهم، لا يمت إلى المال (بصلة)، وانما يحتاج إلى أمرين:

١ ــ صيانة القانون عن الزيادة والنقص.

٢ ــ الخلق الواسع، كي يتمكن من الهداية، و (جمال) يتوفر فيه هذان الشرطان، وليس كذلك (زيد) بالرغم من سعة أمواله، وكثرة ممتلكاته.

وهذا هو السر في أن الله تعالى لا يبعث الى البشر رجالاً ذوي مال كثير، وجاه عريض اذا لم يتوفر فيهم الشرطان، وعبثاً يعيب الناس الأنبياء الفقراء، فإن الرشاد لا يرتبط الى المال أصلاً.

صلاح: لكن من الأحسن أن يكون النبي ذا مال وجاه، حتى يلتف الناس حوله أكثر فأكثر.

محمود: بل الأمر بالعكس، إن النبي اذا كان ذا مال وجاه، كان التفاف الناس حوله بداعي الاستفادة من ماله وجاهه، فلا يتركز في القلوب الايمان الكامل، حتى يشع الى باقي الأفراد، إن الذي يأتي به الطمع في المال أو كسب العز، سرعان ما يذهب بذهاب ذلك، أما من يأتي به الايمان، فهو كالجبل لا تحركه العواصف.

تعدد الأنبياء

ولماذا لم تقتنع بواحد يا (محمود)؟

أما كان يكفي (جمال) وحده لانجاز المهمة، فبعث اليهم (جمال) و(هادي) و(كمال) في زمان واحد، وبعث اليهم قبل اناس آخرين، وبعد ذلك اناس آخرين؟

محمود: يا (صلاح)! أن(جمال) و(هادي) و(كمال) كانوا لقرى متعددة لم أبعثهم إلى قرية واحدة، فهم كمتصرفين متعددين في ألوية متعددة، إن كل بلد وقطر يحتاج الى مرشد ومعلم، ولذا بعثت في زمان واحد أشخاص متعددين ولما ماتوا هؤلاء بعثت اليهم اناس آخرون وهكذا.. وهلم جرا:

وكذلك الأنبياء، إن الله يبعثهم حسب اقتضاء المصلحة، فيبعث في كل قرية مصلحاً ومرشداً، ولما يموتوا يبعث غيرهم، وهكذا.. وهلم جرا

واذا سمعت أن عدد الأنبياء مائة وأربع وعشرون ألف (١٢٤٠٠٠) فالسر في ذلك ما ذكرته.

صلاح: ذكرتني يا(محمود)! بالأنبياء، فكم عددهم؟ وما شغلهم؟ ومن أولهم؟ ومن آخرهم؟ ولماذا لم يبعث الله في هذا الزمان نبياً؟ وهل هناك فرق بين الأنبياء؟ و لم بعث نبيان في قرية واحدة في زمان واحد؟ و لم اختص بعض الأنبياء بعموم الدعوة وبعضهم اختصوا بدعوة جماعة خاصة؟ أرجوك الإجابة عن هذه الأسئلة.

محمود: هذه الأسئلة ثمانية أجيبها على قدر استعدادك لأن بعضها يحتاج إلى نوع من البسط، والتلميذ الإبتدائي لا يتحمل ذلك:

١ــ أما عدد الأنبياء، فقد ذكرت: انهم (١٢٤٠٠٠) مائة وأربعة وعشرون الفا.

٢ــ وأما رسالتهم، فهو ارشاد الناس الى الحق والعدل والخير، حتى يعيشوا في أمن ورفاه، وتكون اولاهم وأخراهم معمورة بالخير والصلاح.

٣ ــ اولهم آدم (عليه السلام)، خلقه الله تعالى، وخلق له زوجاً تسمى (حواء) فتناسلا، فنحن وجميع أهل الأرض من ذرتيهما.

٤ ــ آخرهم (محمد بن عبد الله) (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما أن الله لم يبعث في هذا الزمان نبياً فإنه ليس بحاجة إلى ذلك، فقد جاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يحتاج اليه البشر يوم القيامة،، فبعث الأنبياء بعده عبث والله لا يفعل اللغو والعبث.

٥ ــ وأما الفرق بين الأنبياء، فالفرق كبير، إن الأنبياء كالعلماء فكما أن بعضهم أقدر من بعض، وبعضهم أفضل من بعض، فكذلك الأنبياء.

ولذا ينقسم الأنبياء الى قسمين:

القسم الأول: أولوا العزم وهم الذين بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، لما كان لهم من قوة في الإرادة والعزم، وتوسعة في الأفق والأخلاق والفضيلة..

وهؤلاء خمسة:

الأول: نوح (عليه السلام).

الثاني: (إبراهيم (عليه السلام).

الثالث: موسى (عليه السلام).

الرابع: عيسى (عليه السلام).

الخامس: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

القسم الثاني: غير أولي العزم وهم الذين كانت رسالتهم خاصة بأمة وجماعة وهم سائر الأنبياء، وهؤلاء أيضاً متفاوتون في الفضيلة

٦ ــ وأما بعث نبيين في قرية واحدة فلأنه ذلك أقرب إلى القبول.. والحكمة تقتضي ذلك، في قصة موسى وهارون (عليهما السلام) فإن نفرين أولى بالاتباع، حيث يصدق أحدهما الآخر.

٧ ــ وأما اختصاص بعض الأنبياء بعموم الدعوة، دون بعض فإن الله حسب حكمته وعلمه، كان يعلم أن أيهم يعمّ دعوته إلى جميع الأرض وأيهم لا يعم بل يطفئ نوره الملحدون ولذا خص بعضهم بالعموم دون بعض هذا بالإضافة: إلى بعض الأنبياء كان مرسلاً لإصلاح جهة خاصة، كالانحراف الجنسي، ونقص المكيال.. فلم تكن دعوته عامة، بل خاصة إلى أولئك الذين كانوا يرتكبون ذلك العمل الإجرامي..

تعدد الأديان

جواد: هل تعلم يا (محسن)! ما هذا التضارب بين الأديان والمذاهب؟..

محسن: التضارب ليس في دين الله، وانما هي جهالات ألصقتها الأيادي الأثيمة بالأديان، والا فالدين واحد، جاء من عند اله واحد، لإصلاح نوع واحد: أي البشر.

جواد: رجاءً أو صح لي كلامك!

محسن: إن الله خلق الانسان، وسائر ما في الكون، وعلم الصلاح والفساد ثم بعث الأنبياء لهداية الناس، الى ما فيه صلاحهم..

والأنبياء بلغوا جميعاً عن الله، وانما الفرق عرضي بمقتضيات البيئات والأقوام.

أما الفرق الجوهري، فلم يكن ولا يكون.

خذ مثلاً:

إن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام)، وسائر الأنبياء كانوا يقولون:

١ ــ بأن للكون الهاً واحداً.

٢ ــ وانه عادل.

٣ ــ وأن له سفراء: هم الأنبياء.

٤ ــ وإن لهؤلاء الأنبياء أوصياء، هم خلفائهم بعد موتهم.

٥ ــ وإن الله يبعث من في القبور للجزاء بالجنة أو النار.

وخذ مثلاً آخر:

إن الأنبياء جميعاً كانوا يقولون:

١ ــ بلزوم شكر الاله ــ بالصلاة ــ.

٢ ــ و اعطاء المال للفقير ــ بالزكاة ــ.

٣ ــ والأمر بالخير ــ بالأمر المعروف ــ.

٤ ــ والنهي عن الشر ــ بالنهي عن المنكر ــ.

وخذ مثلاً آخر: إن الأنبياء جميعاً كانوا يقولون:

١ ــ الصدق حسن.

٢ ــ الأمانة حسن.

٣ ــ الوفاء حسن.

٤ ــ حسن الخلق حسن.

٥ ــ الجود والسخاء حسن.

٦ ــ الخيانة قبيح.

٧ ــ الكذب قبيح.

٨ ــ الظلم قبيح.

٩ ــ الأذية قبيحة.

١٠ ــ الفساد قبيح.

وخذ مثلاً آخر:

إن الأنبياء جميعاً يقولون:

١ ــ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل.

٢ ــ إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.

٣ ــ تجارة عن تراض منكم.

٤ ــ النفس بالنفس.

وعلى هذه الأمور الأربعة:

١ ــ الأصول.

٢ ــ العبادات.

٣ ــ الأخلاق.

٤ ــ الأحكام.

كانت تدور توجيهات الأنبياء لكن الصورة قد كادت تختلف حسب الظروف.

و لنأخذ فرضاً:

إن الصلاة كانت في شريعة ركعتان، وفي شريعة أربع ركعات.. وهكذا.. وهلم جرا.

وقد جمع الله تعالى لباب الأديان جميعاً في دين الإسلام، الذي ارتضاه لهداية البشر الى يوم يبعثون، ولذا نسخ الإسلام الشرائع السابقة وهو الدين الوحيد الكوني، الذي لا يقبل من أحد غيره (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين)(١).

راشد: من أين نعرف يا (محسن) صدق الأنبياء؟

محسن: لمعرفة صدق الأنبياء طريقان:

١ ــ العلم والفضيلة، وهذا خاص بأولي الألباب.

٢ ــ المعجزة: ومعناها، أن يأتي النبي بما هو خلاف الطبيعة، وبذلك يتبين أنه نبي، اذ لولا الاتصال بخالق الأرض والسماء، لم يتمكن من خرق ناموس الطبيعة.

راشد: ما هي معجزات الأنبياء؟

محسن: للأنبياء معاجز كثيرة، وخذ مثلاً:

موسى (عليه السلام) كان معجزته القاء عصاه التي كانت في يده، فاذا هي حية عظيمة تلقف كل شيء، ثم ترجع كحالتها الأولى...

وعيسى (عليه السلام) كان معجزته ابراء الأكمة والأبرص واحياء الموتى.

ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان معجزته القرآن الحكيم.

راشد: أما كون العصا معجزة وابراء الأكمة والأبرص واحياء الموتى معجزة، فقد عرفناه، اذ لا يمكن هذه الأمور إلا باشارة خالق الأرض والسماء، وأما كون القرآن معجزة فما معنى ذلك؟ أليس القرآن كلاماً عربياً والكلام مما يتكلم به كل أحد؟!

محسن: ليس القرآن كلاماً كسائر الكلام، وانما هو فوق الكلام، لا يتمكن أحد من التكلم بمثله.

راشد: من أين تقول هذا؟

محسن: اعلم يا(راشد) إن نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) أتى بالقرآن من عند الله تعالى، وهو بلغة العرب، وكانت العرب حينذاك تعادي النبي وتؤذيه، وتنسبه الى الكذب في دعواه الرسالة من الله تعالى، وكانوا فصحاء بلغاء..

فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم): إنكم إن تنكرون فأتوا بمثل هذا القرآن، وهو على لغتكم ولسانكم فلم يقدروا أن يأتوا بمثله...

ولو كان القرآن كلاما عادياً كسائر الكلام، لتمكنوا من الاتيان بمثله، فعجزهم دليل على أنه من عند الله تعالى.

راشد: من أين تقول: إن النبي تحداهم، فلم يتمكنوا من الاتيان بمثل القرآن؟

محسن: ان القرآن نفسه يصرح بهذا التحدي في مواضع:

١ ــ ففي موضع طلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن (قل لأن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون مثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(٢).

٢ ــ وفي موضع طلب منهم أن يأتوا بمثل عشر سور من سور القرآن (... فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...)(٣).

٣ ــ وفي موضع طلب منهم أن يأتوا بسورة واحدة (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهدائكم من دون الله، إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة...)(٤).

لكنهم لم يتمكنوا حتى بمقدار أقصر سورة كسورة الإخلاص (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد)(٥).

أو سورة الكوثر (إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر)(٦).

ولذا جنحوا إلى كل أذية وحرب واتهام... !

إن هذا دليل واضح على صدق دعواه النبوة.

أترى أن العرب لا يتمكنون من الإتيان بخط واحد كسورة قصيرة مثل القرآن، وهم أهل لغة ولسان، إلا إذا كان القرآن منزلاً من عند الله تعالى؟.

وللرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) معاجز أخرى مذكورة في كتب السير والتواريخ.

خاتم الأنبياء

جواد: من هو خاتم الأنبياء؟.

جعفر: خاتم الأنبياء:

اسمه: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أبوه: عبد الله.

أمه: آمنة بنت وهب.

مولده: مكة المكرمة.

ميلاده: سابع عشر ربيع الأول سنة ٢٥ قبل الهجرة (عام الفيل).

مبعثه: سابع وعشرون من شهر رجب، بعد مضي أربعين سنة من عمره الشريف.

زوجته الشهيرة: خديجة بنت خويلد.

نزل عليه جبرائيل (وهو ملك) من عند الله في مكة المكرمة، في جبل حراء، في (٢٧) رجب بعدما مضى من عمره (٤٠) سنة، فأنزل عليه القرآن، وبشره بالنبوة، فقال له: إقرأ، قال (صلى الله عليه وآله): ما أقرأ؟.

قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، كلا إن الإنسان ليطغى، إن رآه استغنى...)(٧)إلى آخر سورة العلق.

فقام يدعو الناس إلى كلمتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فآذوه وشتموه، واضطهدوه، وقاطعوه، وصبوا عليه وعلى المسلمين أنواع الأذى.

فبقي كذلك في (مكة المكرمة) ثلاثة عشرة سنة.

ثم أرادوا قتله، فهاجر إلى (المدينة المنورة).

وهناك انتشرت الدعوة، وأخذ الإسلام في الإزدهار، فلم تمض مدة إلا والناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

وفاته: وبقي هناك عشر سنين، حتى قبضه الله، وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنة، وذلك في سنة ١٠ هجرية.

هذا مجمل عن أحوال خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله).

العصمة

حسين: أستاذ (كاظم) هل تعرف شيئاً عن عصمة الأنبياء، وما معنى العصمة؟؟ فقد وقع بيني وبين أحد زملائي بحثاً في هذا الموضوع، وكان هو الآخر مثلي لا يهتدي الى ذلك سبيلاً!.

كاظم: إن الله أمر بأشياء، ونهى عن أشياء، لمصلحة الفرد والمجتمع والنبي يفعل كل ما أمر الله به، ويترك كل ما نهى الله عنه.

فللنبي حالة نفسية تبعث على ذلك، كما أن للرجل الشجاع حالة نفسية تبعث على الشـــجاعة والاقدام في المعارك، وللكريم حالة نفسية توجب أن يبذل ماله.

حسين: وأي حاجة إلى هذه الحالة، فليكن النبي كسائر الناس؟.

كاظم: كلا إن النبي مبعوث لإصلاح المجتمع عن المساوئ الخلقية النفسية.. وتلك كلها مجتمعـــة في مناهي الله. ولارشاد المجتمع إلى المحاسن الخلقية والنفسية. وكلها مجتمعة في أوامر الله.

وبديهي: أن من يترك الحسن، أو يفعل القبيح لا يؤثر في الناس.

إذاً فالنبي معصوم، لا يرتكب ذنباً، ولا يترك واجباً.

إلى هذا يشير القرآن الحكيم: (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(٨).

١ ـــ سورة آل عمران آية ,٨٥

٢ ـــ سورة الإسراء آية,٨٨

٣ ـــ سورة هود آية ,١٣

٤ ـــ سورة البقرة آية,٢٣

٥ ـــ سورة الإخلاص آية,٤

٦ ـــ سورة الكوثر.

٧ ـــ سورة العلق آية من ١ إلى ,٧

٨ ـــ سورة النجم آية٥٣.

الفصل الرابع : الإمامة

الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم: (...إنما وليكم الله، ورسوله، والذين آمنوا: الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وهم راكعون)...(١).

... ولذا رأيت من الأصلح أن أذهب.

مجيد: ولماذا؟.

هاشم: لأني أتممت مهمتي، و لم يبق لي هنا من عمل.

مجيد: وهل وكلت أمورك إلى أحد؟.

هاشم: و لم لا أفعل؟!

مجيد: دع الناس هم ينتخبون من راق لهم أمانته ودينه...!

هاشم: ما فائدة ذلك؟

مجيد: إن أنت نصبت أحداً مكانك، يختلفون عليه، ولا تتم لهم كلمة.

هاشم: وأحرى لو أني لم أنتخب أن يقع الخلاف والمشاجرة، ثم هل رأيت يا (مجيد) إن سيرة جميع العقلاء جرت على الاستخلاف؟ ألا ترى حين يسافر المتصرف أو المدير للشرطة أو الحاكم أو رئيس البلدية سفراً ــ ولو لبضعة أيام ــ يضع أحداً مكانه، فكيف بالسلطان ورئيس الجمهورية ومن إليهما؟

وخذ مثلاً أضأل: إن سيدة البيت لما تريد أن تخرج من دارها، ولو لساعات قلائل لا تبرح مكانها حتى تضع في موضعها من يدير شؤون المنزل، وهل أمر الدولة أقل من أمر الدار؟ كلا!

إذاً، لا بد لي وأن أستخلف...

ولو لم أجعل أحد مكاني، لكان ذلك خلاف العقل والمنطق.

مجيد: وهل الأنبياء يقيمون الأوصياء مكانهم تتبع هذه القاعدة؟.

هاشم: نعم، فإن الأنبياء أدق نظراً وأبعد فكراً، وأثقل حجى من جميع العقلاء وهم يهتدون بالوحي والإلهام، ولذا يجب عليهم أن يستخلفوا، وإلا كان تركا للأمة فوضى، وذلك خلاف العقل.

من يختار الإمام

جواد: إن أمر الإمامة ليس أهم من أمر رئاسة الجمهورية ـــ كما مثل هاشم ـــ فكما أن رئيس الجمهورية يعين من قبل الأمة، حتى تكون الحكومة (ديمقراطية صحيحة) وإلا أصبحت (بيقراطية) أو (أرستقراطية)، يلزم أن يعين الإمام والخليفة من قبل الأمة، فلم يقول هاشم، بلزوم أن يعين من قبل النبي فقط؟.

صادق: هذا الكلام منك بعيد جداً، أنه يرد عليه إشكالان:

١ ـــ إن تعيين الامة رئيس الجمهورية غلط:

٢ ـــ فرق بين الإمام ورئيس الجمهورية!

جواد: ما هو سبب الفساد في تعيين الأُمة رئيس الجمهورية، أليست الحكومة الدميقراطية الصحيحة تعتمد على الانتخابات، التي لا تتم إلا بأيدي الأمة، وأليست الديمقراطية أفضل من البيوقراطية التي هي حكومة الفرد، والارستقراطية التي هي حكومة الطبقة النبيلة؟.

صادق: مآسي حكومة الانتخاب لا تعد، أليست تعتمد الحكومة الديمقراطية على الأكثرية؟ وهل الحق يتبع الأكثرية، كلا! إن الحق هو الحق ولو خالفه الأكثر، والباطل هو الباطل وإن عاضده الأكثر.

فاللازم في الحكومة الصحيحة أن تتبع الأفضل، لا الأكثر صوتاً.

ثم إن جرائم الحكومات الديمقراطية أكثر بمراتب عن جرائم الحكومات البيوقراطية والإرستقراطية ويكفينا دليلاً لذلك: الفاشية والنازية والشيوعية، فإنها ولائد الديمقراطية، وقد جرت إلى البشرية مآسي لم تعرفها التواريخ، حتى في القرون الوسطى المظلمة، بل والقرون الأولى المتوحشة ـــ كما يقولون ـــ فقد فقدت الإنسانية مائتي مليون قتلى وحرقى وتمثيلاً وإبادة... في نصف قرن، بالإضافة إلى سائر الجرائم.

أهذه الديميقراطية هي الحق؟! أو هكذا انتخابات هي الصحيحة؟!.

إن حكومة الأمة: ـــ الشعب ـــ بواسطة الانتخاب أبدت فشلها الفاضح في جميع الميادين...

فكيف ينجح النبي المتصل بالوحي إلى هكذا حكومة؟

جواد: إذا عنيت بفساد الحكومة الديمقراطية، فما هو الفرق بين رئيس الجمهورية وبين الإمام أي الخليفة؟

صادق: الفرق بينهما هو الفرق بين السماء والأرض...!

رئيس الجمهورية إنما هو رجل التنظيم الموقت في قطر أو أقطار...

الإمام هو رئيس الدين والدنيا، في جميع الأزمنة والأمكنة، بيده المعنى كما بيده المادة وهو ينظم الدين والدولة في نظام يرضاه الله ورسوله والحق والفضيلة.

جواد: أليست تتمكن الامة من تعيين هكذا شخص؟

صادق: كلا! إن الضمائر ليست بيد الأفراد، وإنما هي تحت علم الله الواسع، وفرضاً: عيّن الشعب من هو الصالح فعلاً، فأي ضمانة لهم على أن يبقى صالحاً؟.

وإليك مثلاً:

اختار موسى (عليه السلام) ــ وهو نبي من أولي العزم ــ سبعين رجلاً لاستماع كلام الله تعالى، ومن بين قومه الذين كانوا يربون على نصف مليون.

وإذا بهم كفروا، كما يحكيه القرآن الحكيم!!!

فهل بعد انتخاب النبي شيء، إلا انتخاب الله تعالى؟

من هو خليفة الرسول

حماد: من الخليفة لرسول الله، (محمد) (صلى الله عليه وآله).

جعفر: لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خلفاء اثني عشر، وهم:

١ ــ علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢ ــ الحسن بن علي (عليه السلام).

٣ ــ الحسين بن علي (عليه السلام).

٤ ــ علي بن الحسين (عليه السلام).

٥ ــ محمد بن علي (عليه السلام).

٦ ــ جعفر بن محمد (عليه السلام).

٧ ــ موسى بن جعفر (عليه السلام).

٨ ــ علي بن موسى (عليه السلام).

٩ ــ محمد بن علي (عليه السلام).

١٠ ــ علي بن محمد (عليه السلام).

١١ ــ الحسن بن علي (عليه السلام).

١٢ ــ الحجة المهدي (عليه السلام).

حماد: من عين (علياً ــ عليه السلام) خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

جعفر: عينه رسول الله بنفسه في جميع المواقف، من يوم بُعث إلى يوم قبض ولنكتف هنا بيومين فقط:

١ ــ يوم الإنذار:

(قال علي عليه السلام): لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)(٢). دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال... اجمع لي آل عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به.

ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا بني عبد المطلب إني والله شاباً ما أعلم في العرب، جاء قومه بأفضل مما جئتكم به: إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد امرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على الامر، على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟

قال علي (عليه السلام): فاحجم القوم عنها جميعاً!

وقلت .... أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليه...!

فأخذ برقبتي، ثم قال:

إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا! هذا الحديث يرويه كثير من العلماء، منهم الطبري في تاريخه(٣).

٢ ــ يوم الغدير:

قال زيد بن ارقم: لما نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ(غدير خم) في رجوعه من حجة الوداع ــ وكان وقت الضحى و الحر شديد ــ أمر بالدوحات فقمت، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة، ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي:

(... بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...)(٤).

وقد أمرني جبرئيل عن ربي: أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي والإمام بعدي...

فاعلموا معاشر الناس ذلك:

فإن الله نصبه لكم ولياً وإماماً.

وفرض طاعته على كل احد...

فإن الله مولاكم وعلي إمامكم.

ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة...).

وهذا الحديث رواه أجل العلماء(٥).

ما الذي يتمتع به الإمام علي (ع)

خليل: ما الذي يتمتع به علي (عليه السلام) من مؤهلات الخلافة؟

جميل: كان يتمتع بما يتمتع به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصفات الفاضلة لا فرق بينهما إلا أنه نبي بمزاياه، وهذا وصي بلوازمه: فكان (عليه السلام) ذو علم وسيع وحلم فسيح، وأدب جم، وشجاعة فائقة، وزهد عجيب، وفصاحة لا نظير لها، وبلاغة وفصاحة، وخلق حسن، و..و..

بالاضافة إلى أنه إمام من قبل الله تعالى على الخلق، أمره كأمر الله ونهيه كنهي الله، وكان معصوماً، لا يفعل ما يخالف مرضاة الله.

خليل: ما هي بعض خصوصياته؟

جميل: كان أبوه أبو طالب (عليه السلام).

وأمه: فاطمة بنت أسد.

ولد في الكعبة المشرفة، في مكة المكرمة، ثالث عشر رجب.

وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وزوج ابنته فاطمة الزهراء ـــ (عليها السلام).

حضر غالب حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان في الجميع فاتحاً.

نصبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خليفة له من بعده (يوم غدير خم) بعدما أشار إلى الخلافة من أول يوم دعوته، كما مر آنفاً.

اتفقت له بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حروب داخلية:

١ ـــ مع عائشة وطلحة وزبير، (يوم الجمل).

٢ ـــ مع معاوية وأتباعه في (يوم صفين).

٣ ـــ مع الخوارج في (يوم نهروان).

وكان في الجميع غالباً.

رزق (عليه السلام) أولاداً: خمسة منهم من فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليهم)، وهم:

١ ـــ الإمام الحسن (عليه السلام).

٢ ـــ الإمام الحسين (عليه السلام).

٣ ـــ السيد المحسن ـــ قتل وهو في بطن أمه ـــ.

٤ ـــ السيدة زينب (عليها السلام).

٥ ـــ السيدة أم كلثوم (عليها السلام).

اغتاله (ابن ملجم لعنه الله) في مسجد الكوفة، وهو يصلي الصبح ودفن في النجف الأشرف، حيث مرقده الآن.

تعيين الأئمة

أحمد: من عين الأئمة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

هادي: عينهم الله رسوله والإمام المتقدم، فكان النبي صرح بأسمائهم، كما صرح كل إمام متقدم باسم الإمام المتأخر.

فعين أمير المؤمنين (عليه السلام): الإمام الحسن بن علي الزكي (عليه السلام).

والحسن (عليه السلام): عين الإمام الحسين بن علي الشهيد (عليه السلام).

والحسين (عليه السلام): عين الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

وعلي (عليه السلام): عين الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام).

ومحمد (عليه السلام): عين الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام).

وجعفر (عليه السلام): عين الإمام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام).

وموسى (عليه السلام): عين الإمام الرضا علي بن موسى (عليه السلام).

وعلي (عليه السلام): عين الإمام الجواد محمد بن علي التقي (عليه السلام).

ومحمد (عليه السلام): عين الإمام الهادي علي بن محمد النقي (عليه السلام).

وعلي (عليه السلام): عين الإمام العسكري الحسن بن علي (عليه السلام).

والحسن (عليه السلام): عين الإمام المهدي محمد بن الحسن (عليه السلام).

أحمد: أين أضرحة هؤلاء الأئمة (عليهم السلام)؟

هادي: ضريح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الأشرف.

وضريح الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة المنورة، حيث مدفن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وضريح الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة.

وضريح الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في المدينة المنورة.

وضريح الإمام الباقر (عليه السلام) في المدينة المنورة.

وضريح الإمام الصادق (عليه السلام) في المدينة المنورة، وهؤلاء الأئمة الثلاثة مع عمهم الحسن (عليهم السلام) في مكان واحد ــ في البقيع ــ وقد هدم قبرهم المستعمرون على أيادي الوهابيين.وضريح الإمام الكاظم (عليه السلام) في الكاظمية المشرفة.

وضريح الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان المقدسة.

وضريح الإمام الجواد (عليه السلام) في الكاظمية المشرفة عند جده الكاظم (عليه السلام).

وضريح الإمام الهادي (عليه السلام) في سامراء المقدسة.

وضريح الإمام العسكري (عليه السلام) في سامراء المقدسة عند قبر والده الهادي (عليه السلام).

أحمد: فأين ضريح الإمام المهدي (عليه السلام)؟

هادي: إن الإمام المهدي (عليه السلام) حي في دار الدنيا غائب عن الأبصار، بأمر الله وسيظهر في آخر الزمان، ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وقد وعد الله المسلمين ذلك. قال الله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم، وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً..)(٦).

ما هي الحاجة إلى الأئمة

باقر: إن الأئمة الذين ذكروا، لم يخترعوا كهرباءً ولا راداراً ولا طائرة... فأي مزية لهم، وأي يد لهم على المجتمع؟

علي: إن الاجتماع لا ينتظم إلا بالقوانين العادلة، والأنظمة المتكفلة لترفيه البشر، والدساتير الموضوعة لترقية الروح وتنمية الجسد وهذه الأنظمة والقوانين هي التي وصفها الأنبياء والأئمة بوحي من الله تعالى وإرشاده، بالإضافة إلى تعريف الخالق للناس، وتوجيه نظرهم إلى المبدأ والمعاد...

وهذه الأمور أهم بكثير من الاختراع وكشف الذرة والكهرباء.

فإن مقياس الحضارة ليست هذه الأمور، وإلا لكان الدكتاتور الجبار الذي يقتل ألوفاً ويشرد ألوفاً...

ويستهلك الكمية الكبيرة من المخترعات أفضل من الضابط البسيط الذي يملأ قلبه رحمة، وفؤاده حناناً...!

أنا لو قايسنا الخدمة التي تأتي من الكهرباء للبشرية إلى الخدمة التي تأتي من جعل النظام الصالح للإنسان، لرأينا الفرق كبيراً، وما خدمة الكهرباء إلى خدمة النظام الصحيح إلا كقطرة بالنسبة إلى بحر.

أليس حرب (١٧ سنة) وحرب (٣٨ سنة) والثورات المتصلة التي لم تنقطع بين عام (٩٠٠م) و (٩٥٩م) كانت تحت ظل المخترعات؟ إنها لا تفيد، إذا خلت عن هدايات السماء، وإرشادات الائمة والأنبياء...!

فللأئمة والأنبياء الفضل الكبير في هذه الناحية، وهي الناحية المهمة التي بها ترتاح البشرية، وبدونها تعذب، ولو أظلتها الذرة والقمر الاصطناعي.

ثم أليس الغرب الناهض اقتبس أنوار العلم من الشرق معهد الأنبياء والأئمة؟

وأليس (جابر بن حيان) وأضراب جابر من تلاميذه الإسلام سبقوا في الاكتشاف والاختراع بإرشاد الأئمة (عليهم السلام)؟

ما هي صفات الإمام

شريف: ما هي الصفات البارزة في الإمام؟

مصطفى: الصفات البارزة للإمام:

١ ــ العصمة.

٢ ــ العلم.

٣ ــ الشجاعة.

٤ ــ الكرم.

٥ ــ طهارة المولد.

٦ ــ الحلم.

٧ ــ حسن الخلق.

٨ ــ السماحة.

٩ ــ الفصاحة.

١٠ ــ الأفضلية على جميع الخلق.

شريف: ما يجب أن يفعله الفرد تجاه الإمام؟

مصطفى: يجب أن يطيعه في كل كبير وصغير، وأن يعظمه، ويعترف بأنه المنصوب من جانب الله، ومن الآداب اللازم مراعاتها بالنسبة إلى الإمام (عليه السلام):

أن يزور قبره بعد موته، وأن يعمر مشهده، فإن المشاهد كالمساجد، وقد قال الله تعالى:

(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر...)(٧).

والأنبياء كذلك من هذه الجهة.

محمد: هل تعرف أخي (حسن) ما هي الآيات الواردة في شأن علي أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين؟

حسن: الآيات الواردة فيهم (عليهم السلام) كثيرة، ولكن نحن نذكر جملة منها، على ما ذكره علماء الإسلام:

١ ــ (إنما وليكم الله، ورسوله، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون)(٨).

٢ ــ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين)(٩).

٣ ــ (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع)(١٠).

نزلت حين قال(حارث بن نعمان) منكراً ولاية علي(عليه السلام): اللهم إن، كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم، فرماه الله بحجر فسقط على هامته فقتله.

٤ ــ (اليوم أكملت لكم دينكم. وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا)(١١).

نزلت بعد نصب علي (عليه السلام) يوم الغدير.

٥ ــ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن، لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس)(١٢).

نزلت في إعلان النبي لعلي (عليه السلام) خليفة من بعده.

٦ ــ (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)(١٣).

٧ ــ (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون)(١٤).

٨ ــ (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى)(١٥) نزلت في علي (عليه السلام) حين هوى النجم ــ لدى الأبصار ــ في داره.

٩ ــ (أفمن كان على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه)(١٦). فمن على بينة من ربه هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والشاهد هو علي (عليه السلام).

١٠ ــ (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)(١٧). إنما نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

١١ ــ (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)(١٨) فالمنذر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والهادي علي (عليه السلام).

١٢ ــ (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل: تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)(١٩).

. فالأبناء الحسن والحسين (عليهما السلام)، والنساء فاطمة (عليهما السلام) والانفس أمير المؤمنين (عليه السلام).

١٣ ــ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)(٢٠).

١٤ ــ (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(٢١) فحبل الله أهل البيت.

١٥ ــ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)(٢٢).

١٦ ــ (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله)(٢٣).

١٧ ــ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) إلى آخر السورة(٢٤).

١٨ ــ (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين)(٢٥).

١٩ ــ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)(٢٦).

٢٠ ــ (وإن تظاهرا عليه، فإن الله مولاه، وجبريل وصالح المؤمنين)(٢٧).

١ ــ سورة المائدة: ,٥٥

٢ ــ سورة الشعراء: ,٢١٤

٣ ــ تاريخ الطبري: ج ,٢

٤ ــ سورة المائدة: ,٦٧

٥ ــ للتفصيل راجع كتاب (الغدير) للأميني.

٦ ــ سورة النور: ,٥٥

٧ ــ سورة التوبة: ,١٨

٨ ــ سورة المائدة: ,٥٥

٩ ــ سورة التوبة: ,١١٩

١٠ ــ سورة المعارج: ,١

١١ ــ سورة المائدة: ,٣

١٢ ــ سورة المائدة: ٦٧

١٣ ــ سورة الزمر: ,٣٣

١٤ ــ سورة الحديد: ,١٩

١٥ ــ سورة النجم: ,١

١٦ ــ سورة هود: ,١٧

١٧ ــ سورة الأحزاب: ,٣٣

١٨ ــ سورة الرعد: ,٧

١٩ ــ سورة آل عمران: ,١٠٣

٢٠ ــ سورة البينة: ,٧

٢١ ــ سورة آل عمران: ,١٠٣

٢٢ ــ سورة الشورى: ,٢٣

٢٣ ــ سورة البقرة: ,٢٠٧

٢٤ ــ سورة الإنسان (الدهر): ,١

٢٥ ــ سورة الأنفال: ,٦٢

٢٦ ــ سورة البينة: ,٧

٢٧ ــ سورة التحريم: ٤.

الفصل الخامس: المعاد

الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم: يا أيها الناس! إن كنتم في ريب من البعث، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة... وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحي الموتى، وأنه على كل شيء قدير.

وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله من يبعث في القبور(١).

....وإني قد تعبت لأجلك تعباً كبيراً، وصديقك الآخر، لم يسع في هذا الموضوع، ولم يتكلم ولو ببنت شفة، فهل تجزيه كما تجزيني؟

حبيب: كلا! يا صديقي (حسين) إن كلاً منكم يجزى حسب أتعابه وإلا كان منافياً للعدالة!

ألست ترى أن (المهندس) يعطي كل يوم ديناراً، والعامل ربع دينار، والكناس مائة فلس، والذي لا يعمل لا يعطي شيئاً، ومن يسيء يجزى بالإساءة.

إن هذا قانون العدل، ومن انسلخ عن العدل كان أشبه بالبهيمة.

وعلى هذا الأساس يجزي الله الأفراد والجماعات، ولذا يقول في القرآن:

(إن أحسنتم، أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها...)(٢).

حسين: كيف يجزي الله البشر ــ على الأساس الذي ذكرت؟ ألسنا نرى صالحين وهم في أشق الأحوال، وأحلك الأيام، ونرى طالحين، وهم في خير عيش، وبسط رزق؟

حبيب: إن لله تعالى داراً أخرى تسمى بـ (الآخرة) وهناك يجزي المحسن بالنعيم، ويعاقب المسيء بالعذاب.

حسين: ومتى يذهب الإنسان إلى تلك الدار الآخرة؟

حبيب: يذهب إليها بعد موته.

حسين: إن الإنسان إذا مات يعدم، فكيف يذهب إلى دار أخرى.

حبيب: الإنسان إذا مات لا يعدم بل يبقى حياً بحياة أخروية لا تشابه هذه الحياة، وهناك يعذب أو ينعم.

حسين: عجيب كلامك؟ إنا نرى الإنسان يموت، فلا يدرك، ولا يشعر، ولا يحس، فكيف تقول: إنه حي بحياة أخروية؟

حبيب: عزيزي (حسين) الإنسان له جزءان: روح، وجسد ولكل منهما لذائذ وآلام، مثلاً: لذة الروح العلم، الاختراع... وألم الروح الإهانة، الجهل... ولذة الجسد النظر إلى الحديقة، أكل الشيء اللذيذ. وألم الجسد الضرب، الوجع...

أما رأيت الإنسان في المنام: إنه يرى ويسمع ويذهب ويجيء ـــ كما يشاهد في الرؤيا ـــ لكنه مع ذلك نائم...إن ذلك بروحه وإن جسده ملقى في هذا المكان؟

وكذلك إذا مات الإنسان، يكون حاله حال النائم، لا يبصر جسده ولا يحس بدنه، لكن روحه تدرك وتحس...

حسين: أرجوك أن توضح كلامك أكثر.. وأكثر...

حبيب: إن لنا روحاً، وجسداً، وقبراً وقيامة، ونجعل الكلام حول ثلاث نقاط:

١ ـــ إذا مات الإنسان خرجت روحه عن جسده ـــ كالنائم ـــ إلا أن الفرق أن النائم تبقى من روحه بقية في جسده والميت لا يبقى من روحه شيء.

٢ ـــ فإذا خرجت الروح عن الجسد، تنعم روحه على حدة، وجسده على حدة ـــ ان كان الشخص محسناً مطيعاً لله ولرسوله ـــ وعذبت روحه وجسده كل واحد على حدة ـــ إن كان الشخص مسيئاً عاصياً لله ولرسوله ـــ.

حسين: أما الروح فنحن لا نراها أتعذب أم تثاب؟ فلا نتكلم الآن حولها، وسنتكلم حولها...

إنما الحديث هو إنا نرى الجسد ملقى بين أيدينا، ونلمسه فلا نرى فيه حرارة ـــ وإن كان من اطغى الجبابرة ـــ ولا نلمس فيه آثار النعمة ـــ وإن كان من أعبد الناس ـــ.

فكيف يصدق أن الجسد ويعذب أم ينعم؟

حبيب: ليس كل شيء تحت حواسنا، فإنا نرى النائم فلا نلمس فيه شيئاً، ثم إنه بعدما يستيقظ يخبرنا أنه كان في روضة مع أصدقائه في كمال العيش، أو يخبرنا أنه سجيناً يضربه السجان ويوعده بالإعدام.

ثم أليس حجر (الصلب) لا نحس إن فيه ناراً فإذا احتكت الأحجار ظهرت النار التي كانت مختزنة فيها، وكذلك النفط ونحوه مما يوقد، أنها وإن لم يظهر لنا حرارتها، إلا أن العلم الحديث يقول بكونها مختزنة لكمية من النار تظهر عند القدح أو الإشعال.

فليكن جسم الإنسان من هذا القبيل.

حسين: أحسنت... فقد كانت هذه المسألة مشكلة في ذهني.. والآن حلت بفضلك.. لكن بقي سؤال آخر؟

حبيب: ما هو؟

حسين: ما هو الدليل على بقاء الروح؟

حبيب: إن الأدلة على ذلك كثيرة، لكن أقربها إلى الذهن:

التنويم المغناطيسي الذي ساد في هذا القرن، فإن الوسيط يحضر روح الاموات ويتكلم معهم.

وهذا شائع في كل المدن المتمدنة... وإن شئت التفصيل فراجع الكتب المفصلة الخاصة بهذا الموضوع، واذكر منها كتاب (على حافة العالم الأثيري) فإنه يشرح ذلك شرحاً مسهباً.

حسين: إنك قلت: تتكلم عن ثلاث نقاط، لكنك ذكرت أمرين فقط:

فما هي النقطة الثالثة؟

حبيب: الأمر الثالث هو القيامة.

حسين: وما هي القيامة؟

حبيب: اعلم يا (حسين) إن الإنسان إذا مات، كان في عالم يسمى بـ(البرزخ) منعماً أو معذباً، ولا يزال هناك، حتى يأذن الله: بأن يموت كل الأحياء، وبعد ذلك بمدة يحي الله الأموات، ويحشرهم جميعاً في صعيد واحد يسمى بـ(المحشر) و(القيامة) ليجازي من آمن وعمل صالحاً بالثواب الدائم، والنعيم الخالد، ومن كفر وعمل سيئاً بالعذاب المهين، وهذا هو المسمى بـ (المعاد): خامس أصول الدين.

الحشر

فائز: إن الأخ (حبيب) ذكر في محاضرة له: إن الإنسان يعود بعد موته فهل تعرف أنت يا(ناجح) أنه كيف يعود؟ وهل ذلك ممكن أم مستحيل؟

ناجح: أن عود الإنسان يكون بهذا الهيكل الذي نراه في الدار الدنيا.

وإعادة هذا الهيكل أمر ممكن وبسيط جداً، فلنفرض أن، الإنسان إذا مات تفرقت أجزائه، فهل الأجزاء تعدم؟ كلا! إنها لا تعدم، وإنما تتبدل صورها، مثلاً يتبدل اللحم إلى التراب...

ثم الله يجمع هذه الأجزاء ويعطيها ـــ مرة ثانية ـــ صورتها الأولى، فيركبها كما خلق، ويدخل الروحا الأولية فيها...

فيكون إنساناً سوياً...!

يقول القرآن الحكيم بهذا الصدد:

(وضرب لنا مثلاً ـــ ونسي خلقه!!! ـــ قال: من يحي العظام وهي رميم؟! قل يحيها الذي أنشأها أول مرة...)(٣).

إن عدم التمكن من الإعادة لا يكون إلا عن أحد سببين:

١ ـــ عدم العلم بالأجزاء المتفرقة.

٢ ـــ عدم القدرة على جمعها وتطويرها إلى صورتها الأولية.

والله ـــ كما قرأنا في مباحثنا السابقة ـــ عالم بكل شيء، وقادر على كل شيء.

وقد قرأنا على الغلاف هذه الآيات، ونمزجها شرحاً وجيزاً:

(يا أيها الناس! إن كنتم في ريب من البعث)(٤). فلم ذلك؟

أهل لأنه لا يقدر الله على الإعادة ؟! فإن المعاد أهون من المبتدىء، وقد بدأناكم وهو أشكل في نظركم (فإنا خلقناكم من تراب)(٥).

كنتم تراباً، فأنزلنا الماء فصار نباتاً، فأكله الحيوان فصار لحماً، ثم أكل آباءكم من ذلك اللحم والنبات، فخلقتم أنتم صورة بصورة متدرجة: من تراب، (ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة..)(٦).

إن الإعادة أهون ـــ في نظركم ـــ!.

وإن لم تصدقوا بذلك فلنضرب لكم مثلاً:

(وترى الأرض هامدة)(٧) جامدة خاشعة مغبرة لا حس فيها ولا حراك، ولا زينة ولا بهجة (فإذا أنزلنا عليها الماء! اهتزت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج)(٨).

أليس من يقدر على إحياء الأرض يقدر على إحيائكم بعد الموت؟!

(ذلك) الذي قلنا من أن الله يقدر على الإعادة (بأن الله هو الحق).!(٩) وليس كالآلهة الباطلة لا تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا له (وإنه على كل شيء قدير)(١٠) يقدر على جمع الذرات المبعثرة، ويقدر على أن يسويها إنساناً، ويقدر على إحيائها كما كانت من قبل.

(وإن الساعة) المحدودة لخلق الأموات وإحيائها من جديد (آتية لا ريب فيها!! وإن الله يبعث من في القبور)(١١).

إحياء الموتى

إسماعيل: ذكر صديقي (ناجح) مقالة حول إحياء الموتى، فهل تعرف أنت يا (جعفر) كيفية ذلك: أعني تفاصيل القيامة؟

جعفر: تفاصيل القيامة كثيرة. فإنه محكمة كبرى عامة، الحاكم فيها هو الله وينوب عنه الأنبياء والأئمة والعلماء والملائكة والشهداء... في بعض المحاكم التي تنعقد هناك!!!

والمحكوم لهم أو عليهم: هم الخلق كافة من لدن آدم (عليه السلام) إلى انقضاء الدنيا من رجل وامرأة ، كبير وصغير، وحاكم ومحكوم، وشريف ووضيع، وغني وفقير، و.و..!!!

ليس هذا فحسب! بل تحشر الوحوش والجن.

والاضبارات المنظور فيها: هي أعمال الخلق من نظر عين، واستماع أذن، وحركة لسان.. حتى اختلاج القلب، والنفخ في الرماد!!!

والمدة: (خمسون ألف سنة مما تعدون)!!!

والجزاء للمحسنين: الجنة، والمسيئين: النار!!!

أنها محكمة عجيبة! وعجيبة جداً!!

فكيف يمكن ذكر تفاصيلها؟!

إسماعيل: أرجوك أن تذكر لي بعض تفاصيلها!

جعفر: يحشر الخلائق يوم القيامة، في أرض مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، فتوضع الموازين للحساب، وتأتي كل نفس معها سائق وشهيد، وتتطاير صحائف الأعمال فيعطي كل واحد منهم صحيفة، وهي صحيفة في كمال الدقة، فيقول الإنسان حين ينظر فيها: (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها!!)(١٢).

ويأتي كل إمام مع تابعيه ـ إن سعيداً وإن شقيا ـ.

ويعطى بيد أمير المؤمنين (عليه السلام) (لواء الحمد) فيجتمع حوله المؤمنين.

وهناك حوض كبير يسمى بـ(الكوثر) يشرب منه المؤمنون ويمنع الكافرون والفاسقون عن الشرب منه.

ويمنح الله الأنبياء والأئمة، والصلحاء والعلماء والشهداء...إجازة شفاعة بعض المذنبين.

فيحاسب الله الخلائق أولاً...

ثم يحاسبهم الأنبياء والأئمة والملائكة...

فمن كانت حسناته أكثر، فهنيئاً له بما أسلف في الأيام الخالية.

ومن كانت سيئاته أكثر، فلهم عذاب اليم.

ثم يمد جسر بين (المحشر) و(الجنة) يسمى بـ (الصراط) وهذا يكون على (جهنم).

فمن كان في الدنيا مؤمناً ولله مطيعاً يدخل الجنة ـ خالداً فيها ـ.

ومن كان في الدنيا كافراً، أو عاصياً و لم تنله الشفاعة، فالويل له ـ يدخل النار ـ.

الجنة

عماد: ما هي الجنة؟ وما هي النار؟ هل تعرفهما أخي (كاظم)؟

كاظم: إن وصف الجنة والنار خارج عن طوق البشر، لكني أذكر بعض آيات القرآن التي نزلت بهذا الصدد.

فالجنة: (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار، خالدين فيها! وأزواج مطهرة! ورضوان من الله...)(١٣).

(إن المتقين في جنات وعيون)(١٤). (ادخلوها بسلام آمنين)(١٥) (ونزعنا ما في صدورهم من غل)(١٦) إخواناً على سرر متقابلين)(١٧) (لا يمسهم فيها نصب، وما هم منها بمخرجين)(١٨).

(أولئك لهم رزق معلوم فواكه، وهم مكرمون. في جنات النعيم. على سرر متقابلين. يطاف عليهم بكأس من معين. بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. وعندهم قاصرات الطرف عين: كأنهم بيض مكنون)(١٩).

(لكن الذين اتقوا ربهم، لهم غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار)(٢٠).

(وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون)(٢١).

(وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها، وذللت قطوفها تذليلاً...وإذا رأيت ثم، رأيت نعيماً وملكاً كبيراً!!!)(٢٢).

النار

والنار: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)(٢٣).

(إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها! وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه! بئس الشراب! وساءت مرتفقاً!!)(٢٤).

(كلما نضجت جلودهم، بدلناهم جلوداً غيرها، ليذوقوا العذاب)!! (٢٥).

(يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها، ولهم عذاب مقيم!!)(٢٦).

(ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، ومن ورائه عذاب غليظ!!)(٢٧).

(.. فالذين كفروا وقطعت لهم ثياب من نار، يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم...أعيدوا فيها...وذوقوا عذاب الحريق...)(٢٨).

هذه بعض أوصاف الجنة والنار.

لكن الرؤية ليست كالسماع، والإخبار ليس كالرؤية فالمسيء في النار، ولا يمكن أن يتصور عذابه!!!

والمحسن في الجنة، ولا يمكن أن يتصور حبوره وراحته!!!

وقد ورد في الحديث في وصف أهل الجنة:

(أن لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!!!)(٢٩).

جعلنا الله من المحسنين، ومن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

هذه نبذة من الأصول الإسلامية:

١ ــ التوحيد...

٢ ــ والعدل...

٣ ــ والنبوة...

٤ ــ والإمامة...

٥ ــ والمعاد...

ذكرناها في أسلوب قصصي، قريب إلى الأذهان المبتدئة بأدلة إجمالية مذكورة في طي الكلام.

فعلى المسلم: أن يعتقد بهذه الأصول، وإلا كان من الخاسرين! وقد كان المسلمون إلى ما قبل هذا النصف الأخير من القرن الرابع عشر يعتنقون الإسلام بأصوله وفروعه. ومعاملاته وأخلاقه، وغيرها...

حتى إذا غزا أفكارهم الكفار الأجانب ــ كما غزوا بلادهم وثرواتهم وسائر إمكانياتهم ــ فإذا بهم ينهار الإسلام عن أدمغتهم، ليسد مكانه أمور خرافية، لا سند لها من الواقع والحقيقة، ولا حصة لها في المنطق والبرهان.

وإذا بهم تائهون في ظلمات الجهل، فرقاً وأحزاباً!. ولا علاج لهم إلا بالرجوع إلى عقائدهم ودساتيرهم، التي أثبتت الأدلة العلمية والتجارب الطويلة ــ المصاحبة للحكم الإسلامي في ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ــ جدارتها في ميادين العلم والعمل والرقي والتقدم والمدنية والحضارة.

ونسأل الله تعالى، أن يوفِّق المسلمين للتمسك بدينهم وتعاليمهم وهو المستعان.

١ ــ سورة الحج: آية ,٥

٢ ــ سورة الإسراء: آية ,٧

٣ ــ سورة يس: آية ,٧٨

٤ ــ سورة الحج: آية,٥

٥ ــ سورة الحج: آية ,٥

٦ ــ سورة الحج: آية,٥

٧ ــ سورة الحج: آية,٥

٨ ــ سورة الحج: آية,٥

٩ ــ سورة الحج: آية ,٥

١٠ ــ سورة الحج: آية ,٥

١١ ــ سورة الحج: آية ,٧

١٢ ــ سورة الكهف: آية ,٤٩

١٣ ــ سورة آل عمران: آية ,١٥

١٤ ــ سورة الحجر: آية ,٤٥

١٥ ــ سورة الحجر: آية ,٤٨

١٦ ــ سورة الاعراف: آية ,٤٣

١٧ ــ سورة الحجر: آية ,٤٧

١٨ ــ سورة الحجر: آية ,٤٨

١٩ ــ سورة الصافات: آية ,٤١

٢٠ ــ سورة الزمر: آية ,٢٠

٢١ ــ سورة الزخرف: آية,٧١

٢٢ ــ سورة الإنسان: ,١٢

٢٣ ــ سورة البقرة: ,٢٤

٢٤ ــ سورة الكهف: آية ,٢٩

٢٥ ــ سورة النساء: آية ,٥٦

٢٦ ــ سورة المائدة: آية ,٣٧

٢٧ ــ سورة إبراهيم: آية ,٣٧

٢٨ ــ سورة الحج: آية ,١٩

٢٩ ــ كلمة الرسول (صلى الله عليه وآله): ص ٤٢٦.